





الخطبة
السلسلة النورانية
في
الثبوت الرباني

النبي صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الإمام العلامة
فور الدين
علي جمعة
مفتي الديار المصرية

الكتاب

الزوايل الصدي للإنتاج والتوزيع والتشهير
نرفنا احسنه في عذنا

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

لشركة الوابل الصيّب

للإنتاج والتوزيع والنشر

الطبعة الثانية

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

طبعة منقّحة

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٤٨٧٣

الترقيم الدولي I.S.B.N.

977-6214-04-5

الواپل الصيّب

الواپل الصيّب للإنتاج والتوزيع والنشر
قرت المنة هي اعقابك

٧٠٤٧ شارع ١٧ - المقطم - القاهرة - مصر

تليفون: ٢٩٨٥٠٨٩١ (+٢٠٢) - ٢٩٨٥٠٨٢٤ (+٢٠٢)

٢٥٠٥٧٨٣٠ (+٢٠٢) - محمول ٠١٨١٧٥٥٥٦٦ (+٢٠٢)

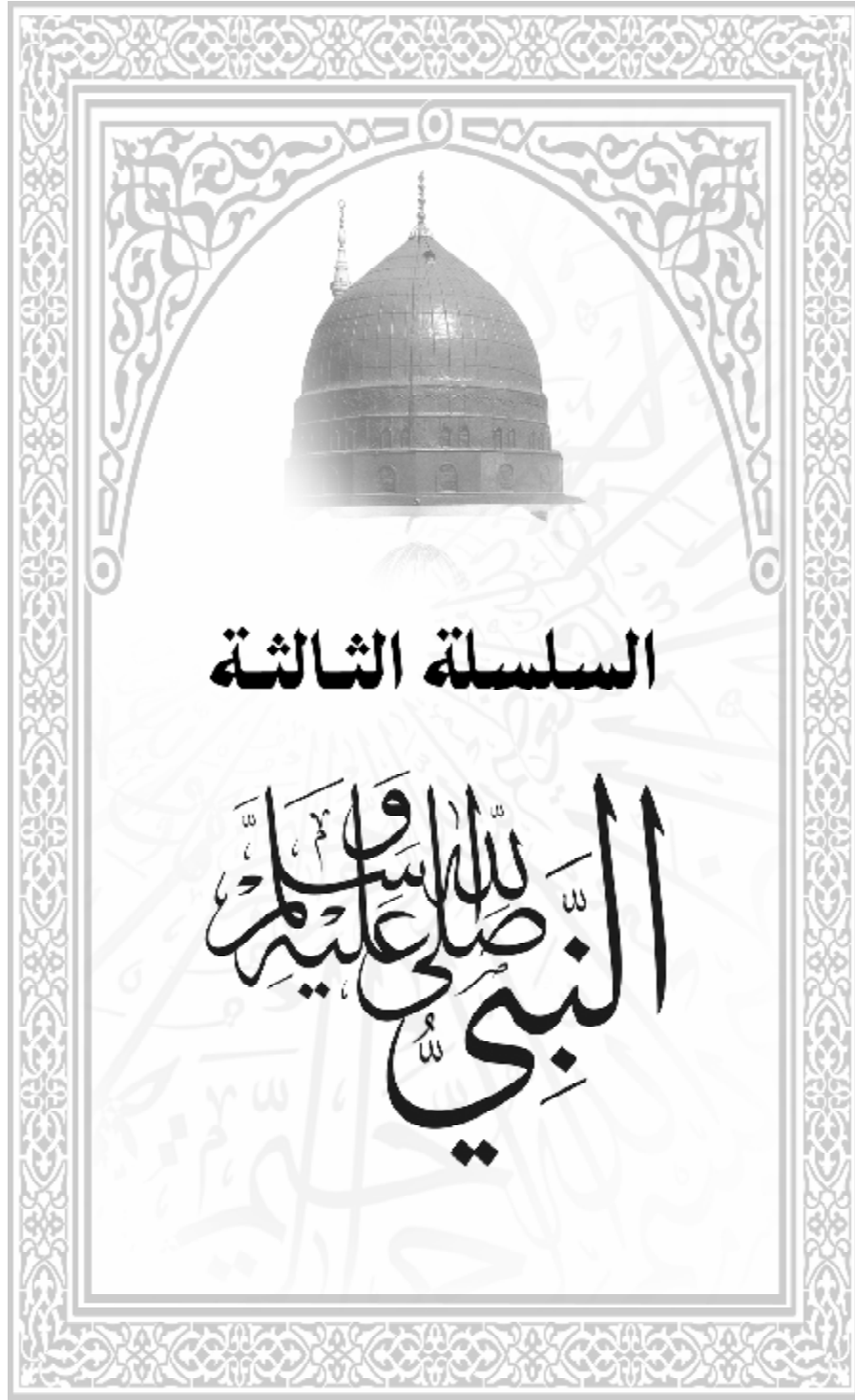
E-Mail: Info@Alwabell.com

www.alwabell.com

www.alimamalallama.com









بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبع هداهم إلى يوم الدين، واجعلنا معهم يا رب العالمين. وبعد:

هذه مجموعة من الخطب التي ألقاها الإمام العلامة/ عليّ جمعة -حفظه الله- بمسجد السلطان حسن، والتي تم تفريغها في هذا الكتاب ليعم النفع بها بإذن الله تعالى.

وقد تناول فضيلته في هذه السلسلة أهم مخلوق في الوجود، وأفضل موجود، وسبب كل خير وجود؛ سيدنا وقدوتنا وحبيبنا وقرّة أعيننا محمدًا ﷺ، وقد تحدّث عن بعض جوانب هذه الشخصية العظيمة والظاهرة الفريدة -التي لم ولن تتكرر- والتي يجب أن تتعرّف عليها أمته ﷺ؛ حتى تهتدي بها في طريقها إلى الله تعالى، وتسير فيه على بصيرة، وتكون عصمة لها من الوقوع في الزلل، وحصنًا لها من الفتن، وأمانًا لها من شياطين الإنس والجن، ولا خير في أمة لا تتبع هدي نبيها، ولا سلوك لسالك ولا وصول لواصل ولا معرفة لعارف ولا ولاية لولي حتى يقتدي بهذا النبي صاحب الجاه والوجاهة ﷺ ظاهرًا وباطنًا، جسمًا وقلبًا وروحًا وحسًا ومعنى، فلن يجتمع معه ﷺ في الآخرة في مستقر رحمة الله وجنته ودار كرامته من كان مُعرّضًا عنه في دنياه، وتابعًا لهواه، وسائرًا في طريق الغي حتى أزداه.





ومن خلال هذه السلسلة المباركة نعيش مع رسولنا الكريم ﷺ في لمحات من حياته ومن يحيطون به، وجهاده ودعوته وصبره وثباته وقوة يقينه وكمال توكّله ومعرفته وتركّيته وأخلاقه ورحمته وشفقته.... وغير ذلك مما يعين المسلم على أن يكون محلاً لرضا الله عز وجل، ودليلاً له فيما يرجو من قُربه ومحَبته.

نسأل الله العظيم الإله الكريم البَرّ الرحيم أن يرزقنا الإخلاص والخلاص والتوفيق والقبول، وأن يلحقنا بخير نبي ورسول ﷺ، إنه وَلِيّ ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الناشر



الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ

من أفكار الخطبة:

- ١- فضل الصلاة على النبي ﷺ.
- ٢- معنى صلاة الله ﷻ على النبي محمد ﷺ.
- ٣- أدركت الناس البدعة؛ فنسوا رسول الله ﷺ، وكثرة الصلاة عليه ﷺ، ومنذ أن رُفِعَ ذلك من رفعت البركة وراحة البال.
- ٤- مفتاح الخروج من البلاء الذي تردينا فيه هو: الصلاة على الحبيب محمد ﷺ.
- ٥- النبي ﷺ هو الرحمة المهداة للعالمين، وحياته خير لنا، ووفاته خير لنا ﷺ.
- ٦- رسول الله ﷺ يَرُدُّ اللَّهُ عليه روحه في قبره فيرد السلام على أمته.
- ٧- كل الأعمال بين القبول والرد، إلا الصلاة على النبي ﷺ؛ لتعلقها بالجناب الأعظم.
- ٨- الصلاة على النبي ﷺ كنز بين أيدينا؛ أفلا نحسن أن نقصد به وجه الله تعالى؟!.
- ٩- الصلاة على الحبيب المصطفى ﷺ ذُكِرَ باللسان، وبالجنان، وبالكيان.



الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه.

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، ونبيه ووصيه وحييه؛ بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، ونصح للأمة وكشف الغمّة وجاهد في سبيل الله، وتركنا على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك. صلى الله وسلّم عليك يا سيدي يا رسول الله، ما ذكرك الذاكرون، وغفل عنك الغافلون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي سيدنا محمد رسول الله، وإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

عباد الله:

يقول سيدنا رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا

عَشْرًا، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْرًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِائَةً»^(١) والله ﷻ يقول رافعًا شأن سيد الخلق: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، والصلاة من الله ﷻ في حقه ﷺ، هي علو شأن ورفعة المقام؛ فقد زاد وشرف وكرم وعظم سيدنا رسول الله ﷺ، وهو حقيق بذلك عند ربه ﷻ.

رسول الله ﷺ هو حبيب الله، رسول الله ﷺ هو خاتم النبيين، رسول الله ﷺ هو إمام المرسلين، رسول الله ﷺ هو صاحب الشفاعة يوم الدين، رسول الله ﷺ كنز مخفي من أراد باب الله فليتمسه، ومن أراد عز الدنيا فليتبعه، ومن أراد الجنة فمفتاحها مع رسول الله ﷺ؛ ومن أجل ذلك جعل الله ذكر رسول الله ﷺ من ذكره ﷻ، وجعل ذلك في الأمة الإسلامية مفتاح خير كثير في قربة العمل، ومن ذلك ما جاء عن أبي بن كعب قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قَالَ أَبِي: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ -يعني من مجلس ذكرني ودعائي- فَقَالَ: «مَا شِئْتُ». قَالَ: قُلْتُ الرَّبُّعَ. قَالَ: «مَا شِئْتُ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ فَالْخُمْسَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتُ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قَالَ: قُلْتُ فَالْثُلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتُ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا. قَالَ: «إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفِرُ لَكَ ذَنْبَكَ». أخرجه الترمذي^(٢).

(١) أخرجه الطبراني في معجميه، «الأوسط»: ١٨٧/٧، و«الصغير»: ١٢٦/٢، قال الهيثمي في «المجمع» (٢٥٢/١٠): .. فيه إبراهيم بن سالم بن شبل الهجيمي ولم أعرفه، وبقيه رجاله ثقات.
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: ٦٣٦/٤ برقم (٢٤٥٧) كتاب صفة القيامة، وقال: هذا حديث حسن صحيح.



ومن هنا فهَمَّتِ الأمة عن رسول الله ﷺ وعن ربها ﷻ ما أراده، وكان عندنا الشيخ «الشوني» قد أنشأ مجالس الصلاة على النبي ﷺ في الأزهر الشريف، وبقيت السنين الطوال، وأدركناها وجلسنا فيها نذكر ربنا بالصلاة على النبي المصطفى، والحبيب المجتبي ﷺ؛ حتى أدركت البدعة الناس، فنسوا رسول الله مما نسوه من الدين؛ ونسوا كثرة الصلاة عليه ﷺ، وهو الذي يقول لأبي: «إِذَا تُكْفِيَ هَمَّكَ وَيُغْفِرَ لَكَ ذُنُوبَكَ»^(١).

وهكذا فعل «المتقي الهندي» وألف كتاباً أسماه «هداية ربي عند فقد المربي»، تكلم عن عصر نزعت منه البركة كمثال الذي نعيش فيه؛ حيث يقل أولياء الله الصالحون، ونفتقد المرشد الذي يدلنا على الله ﷻ، ويرشدنا إلى الله ﷻ، ويُؤثّر قلوبنا بذكر الله ﷻ، فما العمل في تلك الطامة؟! أجمع أهل الله على أنه لا مخرج من ذلك إلا الصلاة على النبي ﷺ، وأنه يجب على المسلم أن يلهج بها ليل نهار، بما لا يقل أبداً عن ألف مرة كل يوم، اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد.

وتسأله الصحابة الكرام: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ. فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٢) وجعلها ﷺ، في آخر صلاتنا؛ ليكون علينا أن نصلي عليه في اليوم والليلة خمس مرات على الأقل فرضاً.

والصلاة على النبي ﷺ تكفر الذنوب، وتفرج الكرب، وتيسر الغيوب،

(١) السابق.

(٢) أخرجه مسلم: ٣٠٥/١، برقم (٤٠٥) عن كعب بن عُجرة رضي الله عنه.





فهو المصطفى الذي ارتضاه الله ﷻ مفتاحاً لسعادة الدارين، والصلاة عليه ﷺ تجعل الإنسان من أحبائه في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فيقول رسول الله ﷺ: «حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ حَمَدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا كَانَ مِنْ سَيِّئٍ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ»^(١)، ويقول ﷺ: «إِنَّ أَوْلَاكُمْ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُكُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»^(٢)، ويقول: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(٣)، استهانوا بكثرة الصلاة على النبي ﷺ فتركوها، وما التزمها إلا الأقل، ومنذ أن رُفع ذلك منا رفعت البركة وراحة البال، وقد كنا شعباً محبباً لرسول الله ﷺ في الظاهر والباطن، مكثرين من الصلاة عليه في الليل وفي النهار، حتى كان البائعون ينادون بالصلاة عليه على سلعهم، ورفع ذلك في أزماننا النكدية، كما رُفع التأسى به ﷺ في حياتنا! أتستقلون ذلك؟! لا، لا تستقلونه؛ فإنه عند الله عظيم؛ إنها تحفظ الإنسان من الذنوب، إنها تستر من العيوب، إنها كنز معنا لا نحسن استعماله، ولا نحسن أن نقصد به وجه الله ﷻ. في زمن من أزمنة الخير، كان في بلاد المغرب بئر قد غار وقل ماؤه، حتى جاءت امرأة فجلست عنده، ودعت الله دعوات فيأذ بالماء يفور، جاءها الشيخ الجزولي رحمه الله تعالى فسألها عما سألت ربها به، فقالت: ما سألته إلا بالصلاة على النبي ﷺ. جَلَسْتُ عند البئر تصلي على رسول الله ﷺ؛ فنظر إليها بنظر الرحمة، واستجاب استسقاءها ودعاءها، فقام البئر والماء

- (١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥٩٤/٨: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.
- (٢) رواه أبو يعلى: ١٣/٩، برقم (٥٠٨٠)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه بنحوه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث»، والبيهقي في «فضائل الأوقات» برقم (٢٧٦).
- (٣) أخرجه الترمذي: ٥٥١/٥، برقم (٣٥٤٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.





ونجت القرية من الجفاف، وذهب الشيخ الجزولي وكتب كتابه «دلائل الخيرات»، التي كثيرًا ما حبيت الناس في رسول الله ﷺ، وكثيرًا ما تقوم بها على أيام الأسبوع؛ فلهجت ألسنتهم بالصلاة عليه ﷺ، وعُمرت قلوبهم بذلك فخفت الدنيا من على أكتافهم، ورأوا الموت وما بعده من نعيم للمسلمين؛ فهان عليهم الوضع الذي نعيش فيه، وتسلبوا عنه بها، هؤلاء هم الذين قد منَّ الله عليهم بفضله.

يقول ربنا ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] انظر إلى الكلام وتأمل في معانيه، وتدبر في تلك المعاني السامية، وكيف تنشأ في قلب الإنسان؟ وكيف تُنشئ المسلم النبيل، الذي تكون الدنيا في يده ولا تكون في قلبه؟ وكيف السبيل إلى ذلك؟ وكيف أن الله بكل يسرٍ قد قضى الخير فيها؟ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] فالمجيء أولاً ﴿فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ [النساء: ٦٤] رسول الله ﷺ في حياته البرزخية، يرُدُّ الله عليه روحه في قبره فيردُّ السلام على أمته، كما صح في الحديث عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»^(١).

رسول الله خاتم النبيين، فنبؤته قائمة فينا إلى يوم الدين، وإنما وفاته لِسُنَّةِ الله في خلقه، ومماته -كمحياه- فيه خير لنا؛ لأن الشريعة قد تمت، واكتمل الدين؛ فكل ما سكت عنه الشرع في حياته ﷺ؛ فهو معفو عنه تكملة من الله لهذه الأمة المرحومة، ولو بقي بيننا فلم ينتقل إلى يوم الناس هذا؛

(١) أخرجه أبو داود: ٢١٨/٢، برقم (٢٠٤١)، والبيهقي: ٢٤٥/٥، برقم (١٠٠٥٠) قال النووي: رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.





لزادت التكاليف يوماً بعد يوم، ولا نبرئ أقوام يسألونه عما سكت عنه؛ فحَرَمَتْ أمورٌ من أجل مسألتهم، وكَثُرَ اختلافهم على نبيهم! ولكن بعثه الله رحمة مهداة، وقد خُيِّرَ ﷺ فاختر الرفيق الأعلى^(١)، يرد عليه روحه فيستغفر لأمته ﷺ، فقد قال رسول الله ﷺ: «حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُغَرِّضُ عَلَيَّ أَعْمَالَكُمْ، فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنِ حَمْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَمَا كَانَ مِنْ سَيِّئِ اسْتِغْفَرْتُ اللَّهُ لَكُمْ»^(٢).

فلنسل أنفسنا بفقدنا لرسول الله جسداً، إنما تشريعهُ وروحهُ وبقاؤه يستغفر للأمة فهو باق إلى يوم القيامة، والحمد لله رب العالمين، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] جاءوك بالصلاة عليك، أو جاءوك في عالم الأشياء بالإتيان إليك ﴿فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:

«وَقَدْ ذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الشَّيْخَ أَبُو نُزَيْرٍ بْنُ الصَّبَّاحِ فِي كِتَابِهِ (الشَّامِلِ) الْحِكَايَةَ الْمَشْهُورَةَ عَنِ الْعُتْبِيِّ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ أَعْرَابِي فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا لِذَنْبِي مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ:

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ * فطابَ مِنْ طِيهِنِ الْقَاعِ وَالْأَكْمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرِ أَنْتَ سَاكِنُهُ * فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

(١) ورد ذلك في حديث متفق عليه؛ رواه البخاري: ١٦١٣/٤، برقم (٤١٧٣)، ومسلم: ١٧٢١/٤.

برقم (٢١٩١)، من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٢) سبق تخريجه، ص: ١٦.





ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ، فَعَلَّبَنِي عَيْنِي فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ، فَقَالَ: «يَا عُنْبِي، الْحَقُّ الْأَعْرَابِيُّ فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ»^(١).

فما أفقهه من أعرابي! وما أسعد ذلك العنبي! والله درُّ سلفنا الصالح؛ بما علموا وما عملوا وما فقهوا وبالفهم؛ فرضي الله عنهم وأرضاهم.

كل قول له حقيقة في العمل، والله ﷻ ينهانا أن يخالف قولنا عملنا، أو أن يخالف عملنا قولنا ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) كَبَرُ مَقَامِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿[الصف: ٢-٣]، فإذا كنتم مشغولين بالصلاة على النبي لساناً، فيجب أيضاً أن تشتغلوا بها في الجنان، وفي الأبدان؛ جنائناً وأبداناً، كما تلتزمون بها في ألسنتكم لا بد أن تلتزموها بأفعالكم.

أما وصف الصلاة فقد عرفناه: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد... فكيف تكون الصلاة في العمل؟ تأتي الآية التي بعدها توضح ذلك؛ انظر هناك ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] انظر هنا ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، كأن التحاكم إلى رسول الله ﷺ، والإيمان بما يقول، والتسليم بما قال، وعدم وجود حرج في القلب مما حكم ﷺ؛ هو حقيقة الصلاة العملية؛ لأنها في مقابل الصلاة التي ختمت بالتسليم بعد ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] شريعة اليسر، شريعة التخفيف، شريعة رفع الحرج. انظر إلى الآية التي بعدها

(١) تفسير القرآن العظيم: سورة النساء الآية (٦٤)، وراجع أيضاً القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن»، وغيره من أمهات التفسير.





﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ (٦٦) وَإِذَا لَا تَجِدُهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٦-٧٠].

هذا هو المسلم النبيل، وهذا هو الشرع الشريف: لم يكلفنا الله ﷻ إلا بأن نلهج بالصلاة على النبي ﷺ بألستنا، وأن نطيعه ونتأسى به في حياتنا وفي أفعالنا، وأن نجعله حكمًا بيننا فيما شَجَرَ من أمور، ولم يأمرنا بأن نقتل أنفسنا، ولو أمرنا بذلك كان واجبًا علينا أن نطيع، ولكنه تكليف خطير. وهذا الشرع إنما هو شرع سيد المرسلين؛ فيه من رفع الحرج، ومن رفع الضرر، ومن رفع المشقة عن الناس والعباد ما فيه، أفلا تحمدون الله؟! أفلا تشكرونه على ذلك التيسير؟! أفلا تكتفون بهذا الخير؟! أفلا تفعلون شيئًا لله ينور قلوبكم، ويغفر ذنوبكم، ويستر عيوبكم، ويسر غيوبكم؟! أفلا تلهجون بذكر رسول الله ﷺ في صلاتكم؟! أفلا تجعلون له صلاتكم كلها، ومجالس ذكركم كلها؟! فإنه هو خير الخلق، وإنه هو مفتاح السعادة، وإنه هو سيد المرسلين، هذا حالنا يا ربنا لا يخفى عليك؛ فوفقنا إلى ما تحب وترضى.

وادعوا الله ﷻ؛ فإنه سميع الدعاء، ولعلها أن تكون تلك ساعة الإجابة.



الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه، ملء السماوات والأرض، وملء ما شئت من شيء يا رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن





محمدًا عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدِّ الأمانة، اللهم صلِّ على سيدنا محمد
طب القلوب ودوائها، ونور الأبصار وضيائها، وروح الأرواح وحياتها، اللهم
صلِّ عليه صلاة وسلامًا دائمين أبدَيْن إلى يوم الدين، تغفر لنا بها ذنوبنا وتكفر
بها عنا سيئاتنا، وتحشرنا بها معه يوم القيامة تحت لوائه، وتسقنا من يده
الشريفة شربة ماء؛ لا نظماً بعدها أبدًا.

من مجموع الآثار عن الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من علماء الأمة
ومجتهديه، أن كل الأعمال بين القبول والردِّ، إلا الصلاة على النبي ﷺ؛ فإنها
مقبولة ولو من المنافق؛ لأنها متعلقة بالجناب الأعظم ﷺ، ومن خصائصها
وفوائدها أنها تزيد من مساحة الجنة التي للعبد؛ وذلك إكرامًا لسيد الخلق ﷺ،
الذي قرن اسمه باسمه سبحانه وتعالى، وجعل الدخول إلى الإسلام لا يكفيه
«لا إله إلا الله»؛ بل لابد من «محمد رسول الله»، ولا بد من ذكرها، والإيمان
بها، فإن آمن أحدهم بالله وحده ولم يؤمن بسيد الخلق؛ فإن إيمانه ناقص غير
مقبول، مردود عليه.

محمد رسول الله ﷺ، يستحق منا أكثر مما نفعله الآن، لقد تجرأ عليه
المتجرئون الغافلون الضالون، ممن تسمى باسمه، ولم يعمل بأوامره، ولم ينته
بنواحيه، فتكلموا عنه ﷺ في الشرائط السيارة، وفي الكتب المتداولة، بطريقة
لا تليق به ﷺ.

الله في رسول الله، أكثروا من الصلاة عليه بالليل والنهار، وعلموها
أبناءكم، وعيشوا في رياضها؛ فإن هذا مفتاح الخير ولو كان باللسان، فما بالك
لو انضم إليه القلب؟! وما بالك لو انضمت إليه الأبدان بالفعل بالأركان؟!





تَرْكِيَةُ اللَّهِ لِرَسُولِهِ ﷺ

من أفكار الخطبة:

- ١- ماذا يعني احتفاؤنا بمولد النبي ﷺ؟ وإلى أي شيء يدعونا؟
- ٢- هو الإنسان الكامل ظاهراً وباطناً، خُلِقَ وَخُلِقَا، وهو سيد الكونين والثقلين ﷺ.
- ٣- النبي ﷺ بصفاته البشرية الكاملة، هيأه ربه لحمل الرسالة وتبليغ الدعوة عن الله.
- ٤- اقرأ القرآن وتلمس فيه خلق رسول الله ﷺ، الذي كان لك أسوة حسنة.
- ٥- يرسل سبحانه النبي في إثر النبي، والرسول في إثر الرسول؛ حتى ختمهم بإمامهم ﷺ؛ فترك لنا معجزة باقية إلى يوم الدين.
- ٦- أيها الناس، افهموا عن رسول الله ﷺ هذا المقام الرفيع الأرفع.



تزكية الله لرسوله ﷺ

فهذا هو شهر ربيع الأنور الذي بدت فيه أنوار النبوة وظهرت على العالمين، هذا هو ربيع الأول الذي فضله الله ﷻ بإرسال النبي المصطفى والحبيب المجتبي ﷺ فيه، واحتفالنا بذكرى مولد النبي المصطفى السيد الأجل ﷺ ينبغي أن يكون بالعمل مع القول، وبالسرور والحضور، بالحس وبالروح، ينبغي أن نحرك فينا بقدوم النبي ﷺ للعالمين هذه المعاني، التي تجعلنا نبغ عنه ولو آية كما أمرنا: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١)، هذه المعاني التي تجعلنا كما نفرح بمقدمه السعيد، نقف عند حدود حدها لنا، ونأتمر بأوامر قد أمرنا بها، وننتهي عن نواهي قد نهانا عنها ﷺ.

كان في الظاهر والباطن، وكان في الخلق وفي الخلق، كان عظيمًا ﷺ، ويكفي قول ربه فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وتقول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»^(٢)، إذا أردت أن تبحث عن خلق النبي ﷺ فلتقرأ القرآن؛ كان مؤتمراً بأوامره، ومنتهاً عن نواهيهِ، متخلقاً بأخلاق الله التي أمر بها ﷺ، وهذا القرآن بين أيدينا، اجعلوه إماماً لكم في هذا الشهر الكريم، واجعلوا ذلك الشهر بداية خير لحياتكم ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾

(١) أخرجه البخاري: ١٢٧٥/٣، برقم (٣٢٧٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) أخرج مسلم عن سعد بن هشام بن عامر: «... قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أُنَبِّئُنِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ...». أخرجه في صحيحه: ٥١٢/١، برقم (٧٤٦).



لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ [الحج: ٧٧] افعلوا الخير كله، قال رسول الله ﷺ: «لَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُلِقْ أَخَاهُ بِوَجْهِ طَلِيقٍ، وَإِذَا اشْتَرَيْتَ لَحْمًا أَوْ طَبَخْتَ قِدْرًا فَأَكْثِرْ مَرَقَتَهُ وَاعْرِفْ لِحَارَكَ مِنْهُ»^(١).

كان النبي ﷺ - وهو أحلى البشر - ينظر في المرأة ويقول: «اللَّهُمَّ حَسِّنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي»^(٢)، وكان النبي ﷺ مستجاب الدعوة، استجاب الله له وجعله خير متخلق بأخلاق الله ﷻ فيما أمر ونهى، ذكره الله ﷻ بما لم يذكر نبيا قبله؛ ذكر صدره وظهره وقلبه ولسانه وعينه ووجهه، وأقسم بحياته فيما لم يفعل ربنا ﷻ في أي كتاب أنزل.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] فجعل صدره الشريف محلا لنزول الأنوار، وكشف الأسرار (أسرار الأدب مع الله سبحانه جل في علاه ظاهرا وباطنا)؛ فأزال عنه كدورات الدنيا، وملاه بالحكمة عندما شق الملائكة صدره الشريف^(٣)، ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿ [الشرح: ٢-٣]؛ فطهر ظهره وجعله نقيا من كل ذنب، وجعل فعله حجة لا يتطرق إليه العصيان، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وجعل عتابه له ﷻ، وجعل توجيهه له في حياته تشريعا للأمة إلى يوم الدين.

- (١) رواه الترمذي: ٢٧٤ / ٤، برقم (١٨٣٣) وقال: حسن صحيح.
- (٢) أخرجه ابن حبان: ٢٣٩/٣ وعن علي عليه السلام، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا نَظَرَ وَجْهَهُ فِي الْمِرْآةِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي» رواه ابن السني، وراجع: «الأذكار» للنووي: ٩١٣.
- (٣) قصة شق الصدر أخرجه البخاري: ٢٧٣٠/٦ برقم ٧٠٧٩ عن أنس وفيه: «... ثُمَّ أَتَيْ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ مَحْشُوءًا إِيمَانًا وَحِكْمَةً، فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ...» الحديث.





﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ [مريم: ٩٧]
فجعل لسانه الشريف سبباً للخير، وبداية للدعوة، وتثبيتاً للمتقين، وإنذاراً
للمشركين الكافرين.

ذكر قلبه ﷺ فقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١١٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾
بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿[الشعراء: ١٩٣-١٩٥] انظر كلما يتكلم عن شيء من أعضائه
الشريفة تُربط مباشرة أو بطريق: بالدعوة إلى الله؛ إذن فقد طهر الجسد
الشريف، وقد أعلّى الروح الشريف، وقد هيأ هذا النبي الشريف؛ لتبليغ
العالمين كلمة الله الأخيرة.

فاعلم أيها المسلم ذلك، واجعل ذكرك للنبي المصطفى والحيب
المجتبى ﷺ، اجعله برنامج عمل في حياتك الدنيا تدعوه إلى الله، تعيش في
بحبوبة من السعادة الربانية، والمنح الصمدانية، والمواهب اللدنية والتنزلات
الرحمانية، من عند رب البرية، وتكون سبباً وخيراً للآخرين، اقرأ القرآن
وتلمس فيه خلق رسول الله ﷺ الذي كان لك أسوة حسنة.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨] فامثل ﷺ،
ولم يلفت عينيه إلى غير موضع تنزل الرحمات الإلهية: المؤمن، والمسكين،
واليتم، والأرملة، والمجاهد في سبيل الله، وطالب العلم، وذوي القربى، لم
يلتفت رسول الله ﷺ عن أولئك جميعاً، وكان مثلاً يحتذى في العطف عليهم
كما سنرى ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾؛ عن المؤمنين المساكين، عن المؤمنين
المجاهدين، عن المؤمنين الذين يطلبون العلم والحقائق لله رب العالمين، عن
المؤمنين الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، عن المؤمنين الذين
يسعون في الأرض إصلاحاً ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ فكانت عيناه الشريفتان





لا تعدو عن محل ينزل فيه شيء من عند الله رحمة وبركة؛ فنريد أن نكون كهذا العبد الرباني، الذي تعلق قلبه بالله في سره وعلنه، نريد أن نكون هذا العبد الرباني الذي ما أرسله الله لنا عبثاً، ولا لنقدسه ونُعلي شأنه ونسير نحن بخلافه؛ بل أرسله لنا مثلاً يحتذى، وأرسله لنا كأسوة حسنة ينبغي أن نتبعها ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

يقسم جل وعلا: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] فيقسم بحياته الشريفة، وهو موطن واحد في القرآن لا مثيل له، ولا تكرار له، كان رسول الله ﷺ يسمع، ومن سمع أكثر مما يتكلم؛ فإنه يعذر الناس ويعلم الحق، فعابه المشركون المتكبرون ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١] يعيرونه أنه يسمع أكثر مما يتكلم! وهي من أحلى صفات العدل، ومن أعلى صفات الحكام بين الناس؛ يسمع ليعلم الحقيقة، ليرشد عن وعي. يجيئه الرجل يقول: يا رسول الله، يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي. فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل. ولا يزال معك من الله ظهير عليهم، ما دمت على ذلك»^(١). المل: الرماد الحار، كانوا ينضجون عليه الخبز، انظر: لم يقبل كلام الرجل على إطلاقه؛ بل قال: «لئن كنت كما قلت». ويقول رسول الله ﷺ فيما أخرجه مسلم في مقدمته: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»^(٢).

(١) أخرجه مسلم: ١٩٨٢/٤، برقم (٢٥٥٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم: ١٠/١، برقم (٥).





وربنا ﷻ يقول: ﴿ قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤] فوجهه كان دائماً معلقاً في السماء يدعو ربه، والسماء قبلة الدعاء.

يذكر ربُّنا أذنَ النبي ﷺ وصدره وظهره وقلبه ولسانه ووجهه، ويقسم بحياته؛ لينبئنا أن ذلك النبي العظيم في هذا الجسد المبارك الشريف، إنما أرسله الله لنفع الناس؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويقول له: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (٦٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧] فماذا نفعل؟ وماذا أمر الله؟ وما الذي يمكن أن نفعله في هذا الشهر الأنور الكريم، يقول رسول الله ﷺ: «أَنَا وَكَافُلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا»، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُشْطَى، وَفَرَجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا^(١) من شدة قرب كافل اليتيم به ﷺ، فمن استطاع منكم أن يكفل يتيماً؛ فليفعل، فإن لم يستطع يقول رسول الله ﷺ: «مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا اللَّهُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ»^(٢) سواء أكان ذلك اليتيم من قرابته أم من غيره من الأجانب، لا يبتغي إلا وجه الله ولكن يفعل هذا الفعل من الرحمة، لا لأن يقال: إنه رحيم، ولا لأجل أن يأخذ جائزة من أحد، ولا مدحاً من مخلوق؛ بل هو يفعل ذلك لله رب العالمين «كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ» انظر إلى واسع فضل الله كل ذلك من الإيمان برب قد خلق وكلف وأمر ونهى، نعود يوم القيامة إليه ﷻ للحساب؛ نرجو ثوابه ونخاف عقابه.

(١) أخرجه البخاري: ٢٢٣٧/٥، برقم (٥٦٥٩).

(٢) أخرجه أحمد: ٤٧٤/٣٦ برقم (٢٢١٥٣)، والطبراني في «الكبير»: ٢٠٢/٨ برقم ٧٨٢١، وقال الهيثمي في «المجمع» ٢٩٤/٨: رواه أحمد والطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو ضعيف.





أيها الإنسان، الذي تعتقد هذه العقيدة كل شعرة من رأس يتيم مرت عليها يدك لك بها صدقات، ولك بها حسنات، ولا يضيع الله أجر المحسنين، يقول النبي ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلِ الصَّائِمِ النَّهَارِ»^(١)، فلئن حيل بيننا وبين الجهاد في سبيل الله؛ حتى يرى الله منا مواطن الصدق، ولتحرير القدس الشريف، إلا أن الساعي على الأرملة والمسكين، والذي يفرّج عنهم كرب الدنيا كالساعي في سبيل الله.

وفي رواية أخرى متفق عليها يقول الراوي بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله تعالى عنه^(٢): «أَحْسِبُهُ قَالَ: «كَالْقَائِمِ لَا يَفْثُرُ وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ» أَيِ إِنْ الَّذِي يَسْعَى عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، فَكَأَنَّمَا يَقُومُ اللَّيْلَ وَلَا يَمَلُ وَلَا يَنْتَهِي، وَكَأَنَّهُ يَصُومُ النَّهَارَ مِنْ غَيْرِ انْقِطَاعٍ أَبَدًا؛ فَأَيُّ ثَوَابٍ لِهَذَا؟! هُوَ ثَوَابُكَ لِلأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ.

افعل الخير، افعل الخير في هذا الشهر؛ فإن هذا الشهر يذكرك ببدء الرسالة.

وكما نحتفل به سرورًا وحبورًا^(٣) بالحلواء وغيرها؛ فإنه ينبغي علينا أن نحتفل به في أنفسنا، وأن نغير أحوالنا إلى الصالح الأصلح.

(١) متفق عليه، البخاري: ٢٠٤٧/٥، برقم (٥٠٣٨)، ومسلم: ٢٢٨٦/٤ برقم (٢٩٨٢).

(٢) هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي الحارثي، أبو عبد الرحمن المدني، كان ثقة عابداً. قال ابن حبان في «الثقات»: كان من المتقنين في الحديث، وكان يحيى بن معين لا يقدم عليه في مالِك أحدًا. مات بمكة سنة إحدى وعشرين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب: ٢٨/٦، وانظر: صحيح البخاري برقم (٥٦٦١)، ومسلم برقم (٢٩٨٢).

(٣) الحبور: هو السرور.. من قولهم: حَبَرَنِي هَذَا الْأَمْرُ خَيْرًا أَيِ سَرَنِي. انظر «لسان العرب»: ١٥٧/٤.



أيها الناس، افهموا عن رسول الله ﷺ هذا المقام الأرفع الرفيع، وصلوا
على السيد الجليل هذا الشهر، كما لم تصلوا عليه ﷺ في أشهر سواه.
وادعوا ربكم.



الحمد لله حمد الشاكرين له، الواقفين على بابه حتى يرضى، وحتى يفتح
علينا فتوح العارفين به، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأشهد أن سيدنا محمداً
عبده ورسوله؛ اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد:

فيا عباد الله، كنز بين أيديكم، قرآن يبقى معجزاً للرسالة أبد الأبدين، وكل
نبي كان يأتي قومه كان يأتيهم بمعجزة، يراها من يراها ولا يراها من بعدهم؛
ولذلك يرسل سبحانه النبي في إثر النبي والرسول في إثر الرسول؛ حتى
ختمهم بإمامهم ﷺ؛ فترك لنا معجزة باقية إلى يوم الدين، فتنبهوا إلى هذا
المعنى الجليل، واعلموا أن النبي ﷺ فيكم قرآناً، فقد كان مثلاً للقرآن قد
تشخص في هذه الحياة الدنيا ﷺ، وندعو الله ﷻ أن يوفقنا للتمسك به؛
إنه سميع قريب مجيب الدعاء.





برسول الله ﷺ.. فلنفرح..!

من أفكار الخطبة:

- ١- رسول الله ﷺ علامة فارقة في تاريخ البشرية.
- ٢- رسول الله ﷺ هو بابنا إلى الله ﷻ؛ سد الله كل الأبواب إلا باب النبي ﷺ.
- ٣- ميلاده البشري يتوافق مع الوظيفة التي أرادها الله له خاتماً للنبيين وأسوة للعالمين.
- ٤- ما ينبغي عليك أيها المسلم تجاه رسول الله ﷺ ثلاثة أمور: تَعْلَم، وتصدق، وتعيش.
- ٥- في يوم مولده ﷺ - فرح أبو لهب فرحاً شديداً، وأعتق ثوبية فرحاً بمولد النبي ﷺ، فأثابه الله ﷻ على ذلك؛ أفلا نفرح نحن؟!.
- ٦- مولد النبي المصطفى لم يكن يوماً عابراً؛ بل ينبغي علينا أن نعيشه في كل يوم.



برسول الله ﷺ... فلنفرح..!

أيام الله على قسمين؛ قسم كان قبل ميلاد الحبيب المصطفى والنبي المجتبي ﷺ، وقسم بدأ بعد ميلاده الشريف الأنور؛ فكان رسول الله ﷺ علامة فارقة في تاريخ البشرية وعلاقتها مع ربها، في الدعوة إلى قضية الكون الكبرى، وإلى مراد الله من خلقه، وإلى الحق الذي له حقيقة، والحقيقة التي لها حق.

رسول الله ﷺ هو ذلك الفارس الكريم، الذي يلخص قضية الخلق جميعها، يلخص مراد الله من خلقه، ويلخص قضية التوحيد، ويلخص قضية التشريع، ويلخص قضية الإنسان، ويلخص عودته إلى ربه في يوم يُنبؤنا فيه ربنا بما كنا فيه نختلف.

رسول الله ﷺ هو الرحمة المهداة، وهو خاتم النبيين والمرسلين، وهو حبيب رب العالمين، أرسله الله للناس كافة بشيرًا ونذيرًا، وسراجًا منيرًا، ورحمةً للعالمين وأسوةً للخلق جميعًا، وشفيعًا لهم ينفعهم في الدنيا والآخرة، وهو أحب خلق الله إلى الله، وهو أعظم خلق الله عند الله ﷻ.

رسول الله ﷺ خير من الكعبة، خير من العرش والكرسي والسموات والأرض، خير من كل ما خلق الله.

رسول الله ﷺ هو بابنا إلى الله؛ سد الله كل الأبواب إلا باب النبي ﷺ.

رسول الله ﷺ:

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ * إِنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ



رسول الله ﷺ:

دَعَا مَا أَدْعُهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ * وَاحْكُم بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتِكِم
وَأَنْسِبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ * وَأَنْسِبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عَظَمٍ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ * حَدٌّ فَيُغْرِبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ
رسول الله ﷺ لخص الرسالات قبله:

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ * وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٍ * غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيمِ
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ * مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ
فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ * ثُمَّ اضْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ
مُنَزَّةً عَنْ شَرِيكَ فِي مَحَاسِنِهِ * فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ
ماذا نقول؟! وربنا ﷺ يقول فيه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ
قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿[النجم: ٣-٩].

ماذا نقول؟! وقد قال فيه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿[القلم: ٤].

ماذا نقول؟! وقد قال فيه ربنا ممتنًا علينا، وهو ﷺ صاحب المنة ﴿لَقَدْ
كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ﴿[الأحزاب: ٢١]،
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿[التوبة: ١٢٨].

ربنا سبحانه وتعالى ذكر أعضائه الشريفة ﴿قَدْ زَرَىٰ ثَقَلُْبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَآٰءِ
فَلَوْلَيْكَ قِبْلَةٌ تَرْضَاهَا ﴿[البقرة: ١٤٤]، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ يَلِسَانِكَ ﴿[مريم: ٩٧]،





فذكر لسانه ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿الشرح: ١-٣﴾ ذكر الله ﷺ صدره وظهره، وأقسم بعمره، ولم يقسم بعمر أحد قط: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

رسول الله ﷺ هو أسوتنا إلى الله؛ فينبغي عليك أيها المؤمن أن تقوم بثلاثة أشياء:

أولاً: أن تعلم حال رسول الله ﷺ؛ حاله مع ربه، حاله مع نفسه، حاله مع الناس من حوله مؤمنهم وكافرهم.

ثانياً: أن تصدّق بذلك بعد أن تفهم، وفهمك وتصديقك لا يجعلك متبعاً لسيدنا رسول الله ﷺ؛ حتى تعيش حاله في نفسك.

ثالثاً: أن تعيش حاله ﷺ.

ولد رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأنور، وأهل التوفيقات يختلفون في ميلاده؛ فمنهم -وهو الراجح- أنه ولد في الثاني عشر من ذلك الشهر، ومنهم من رجّح الثامن، ومنهم من رجّح الواحد والعشرين، وقالوا: إنه ولد بذلك في العشرين من إبريل، وقيل: بل في العشرين من أغسطس.

فكأن ربنا ﷻ أخفى يوم مولده في ربيع، كما أخفى ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان؛ لأن المسألة ليست أن نحتفل بيوم واحد من أيام ميلاده الشريف؛ بل هو أن نحتفل بكل يوم في ربيع الأنور، وأن نجعل هذا الشهر فهماً عن رسول الله، وتصديقاً به ﷺ، ومعيشة في حاله ﷺ.

رسول الله ﷺ ولد في ذلك الشهر الأنور، في يوم اختلف العلماء فيه، والاختلاف يثير الهمة، ويبين مدى التقصّي الذي ناله هذا العظيم ﷺ، ولم ينله عظيم قط في التاريخ؛ من تتبّع سيرته وأحواله، وما تعامل معه من خلق الله،





من بشرٍ ، أو أدوات، أو غزواتٍ، أو أماكن، أو أزمنة، لم يحظ أحد في التاريخ إلا ذرة الأكوان ﷺ بهذا الاهتمام البالغ.

لما ولد ﷺ كأن الشمس ظهرت فخبث نجوم الأنبياء كلها.

خبث نجوم الأنبياء كلها في ضياء شمس رسول الله ﷺ، وأصبح المسلمون أمة دعوة يدعون إلى الله ورسوله، ويحاربهم الناس من أجل رسول الله ﷺ.

مولد النبي المصطفى لم يكن يومًا عابرًا؛ بل ينبغي علينا أن نعيشه في كل يوم، فاليوم المُعَيَّن الذي ولد فيه المصطفى هو خير أيام الله كلها، منذ خلق الله الأرض ومن عليها؛ بل والكون وما فيه، إلى أن يرجع ذلك إلى ربه.

رسول الله ﷺ رحمة للعالمين للمؤمن والكافر، لما ولد فرح به أبو لهب عمه الكافر، الذي لم يورد ربنا ﷺ في كتابه اسمًا من أسماء قرابة النبي إلا هذا، وأنزل فيه سورة بحالها تُتلى إلى يوم الدين ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

أبو لهب حكم الله عليه بالنار خالدًا فيها أبدًا؛ من شدة طغيانه على رسول الله ﷺ بعد أن أوحى إليه ربه، لكنه في يوم مولده ﷺ -فرح أبو لهب فرحًا شديدًا، وأعتق ثوبية فرحًا بمولد النبي ﷺ؛ فأثابه الله ﷻ على ذلك، أفلا نفرح نحن؟!

يقول عروة بن الزبير: وَثُوبِيَّةُ مَوْلَاةٌ لِأَبِي لَهَبٍ، كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حَيَّةٍ ^(١)، قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ، غَيْرَ أَنِّي سَقِيتُ فِي هَذِهِ بَعْتَا قَتِي ثُوبِيَّةَ ^(٢).

(١) يعني: بشر حال، والحية: الهم والحزن والوجع. لسان العرب: ٣٣٩/١.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» تعليقًا: ١٩٦١/٥، برقم (٤٨١٣).



تلقت ثوية فهو سبب خيرها وهو سبب عتقها، فأرضعتها، وكانت ثوية ترضع ابنًا لها يقال له: مسروح، وكانت ترضع أيضًا: أبا سلمة زوج أم سلمة، التي تزوجها بعد ذلك النبي ﷺ، وصارت أمًا من أمهات المؤمنين.

أبو سلمة تزوج أم سلمة، وأنجبا درة بنت أبي سلمة، وسأله ﷺ أم المؤمنين أم حبيبة، فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَاللَّهِ إِنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ دُرَّةَ ابْنَةِ أَبِي سَلَمَةَ. فَقَالَ: «ابْنَةُ أُمِّ سَلَمَةَ». فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ، أَرْضَعْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثَوِيَّةً»^(١). فثوية أرضعت رسول الله ﷺ، وأرضعت مسروحًا ابنها، فكان أخًا للنبي ﷺ في الرضاعة، وأرضعت حمزة عم النبي ﷺ فكان أخًا له في الرضاعة، وأرضعت أبا سلمة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

هؤلاء هم إخوة النبي ﷺ من ثوية، وكان النبي ﷺ يبرُّ ثوية، ويسأل عنها وعن أقاربها، ويرسل إليهم بالهدايا.

أرضعته بعد ذلك حليلة بنت أبي ذؤيب، وكان لها ابنة أكبر منه في السن اسمها الشيماء، وابن آخر حضنته أم أيمن، وكل ذلك يدل على أن النبي ﷺ ولد ولادةً إنسانية فيها بركة تشير إلى حاله العالي، وليست فيها خوارق، ولادة تشير إلى أنه قد أرسل إلى كل إنسان في العالم إلى يوم الدين.

لم يولد من غير أب كما ولد عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام؛ لأن المثل المحتذى والأسوة الحسنة ينبغي أن يكون إنسانًا كسائر الإنسان.

حاول كثير من الجهلة أن يحيطوا مولد النبي المصطفى، والحبیب المجتبی بخوارق كثيرة، ونسوا وتجاهلوا وغاب عنهم أن ميلاده البشري

(١) متفق عليه، البخاري: ٢٠٥٤/٥، برقم (٥٠٥٧)، ومسلم: ١٠٧٢/٢، برقم (١٤٤٩).



يتوافق مع الوظيفة التي أرادها الله له، من كونه خاتماً للنبيين والمرسلين، وإماماً للمتقين وأسوةً للمؤمنين، فقل: إنه قد نزل من جنب آمنة! والصحيح أن آمنة أم النبي ﷺ قالت: حملت به كأخف ما تحمل النساء حمل بركة، لكنه ولد من المحل المعتاد؛ فالنبي ﷺ أسوة حسنة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١٠٠] هذا هو جانبه الأول، لكنه معصوم بعصمة الله له ﴿يُوحَىٰ إِلَىٰ﴾ [الكهف: ١٠٠] والوحي هو الذي بيننا وبينهم في رسول الله ﷺ.

عباد الله، ذلك شهر كريم اقرأوا فيه سيرة المصطفى، تدبروا أخلاقه وأحواله، افهموا عنه مراده، صدقوا، عيشوا حال النبي ﷺ، غيّر حياتك وجددها، واجعل ذلك كله لله رب العالمين؛ فإن الله ينظر إلينا، فلتكن في دائرة رحمته ورضاه، وتوجهك إلى النبي المصطفى ينطبع عليك، ولا تكن مدبراً عنه ﷺ فتبوء بسخط الله.

اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، وصلوا على النبي المصطفى والحبيب المجتبي؛ فالصلاة عليه من خير الأذكار التي أرشدنا إليها، أبي حين يجعل له ﷺ مجلسه في الذكر كله فيقول له ﷺ: «إِذَا تَكْفَىٰ هَمَّكَ وَيُغْفِرُ لَكَ ذَنْبَكَ»^(١) صلوا على النبي المصطفى ﷺ.

وادعوا ربكم.



(١) سبق تخريجه، ص: ١٤.



يا طيّبُ مُبتدأٍ منه ومُختتمٍ

من أفكار الخطبة:

- ١- أوان ظهور الإنسان الكامل، وتأهل العالم لتلقي العهد الأخير.
- ٢- السبيل إلى رؤيته ﷺ ولو منامًا.
- ٣- هو الرحمة المهداة، فأين أنت منه ﷺ؟!
- ٤- الدعوة إلى الله على بصيرة هي سبيل النبي ﷺ ومَن اتبعه.
- ٥- أتباع النبي محمد ﷺ هم أعرف الناس بالحق، وأرحم الناس بالخلق.
- ٦- كن متوازنًا، قويًا بالحق، أعرف الخلق به، أرحم الناس بالخلق، متطفقًا معهم.
- ٧- أحبّ هداية الناس تكن على قدم نبيك ﷺ.



يَا طَيْبُ مُبْتَدَأُ مِنْهُ وَمُخْتَمٌ

في مثل هذا اليوم:

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ * وَفَلَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءٌ

في مثل ذلك اليوم:

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طَيْبِ غُضْرِهِ * يَا طَيْبُ مُبْتَدَأُ مِنْهُ وَمُخْتَمٌ

في مثل ذلك اليوم تَلَأَلَّتْ الْأَنْوَارُ، وَافْتَرَقَ التَّارِيخُ، وَبُعِثَ الْمُصْطَفَى ﷺ خَاتَمًا لِلنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَمَحَلًّا لِرِضَا اللَّهِ وَنَظَرِهِ، وَإِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، هَادِيًا إِلَى اللَّهِ وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَهُوَ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ جَاءَ سَرَاجًا مَنِيرًا، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رِعْوًا رَحِيمًا، جَاءَ الْإِنْسَانُ الْكَامِلَ الَّذِي كَانَ خُلِقَ الْقُرْآنُ، وَالَّذِي وَصَفَهُ رَبُّهُ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَصِفَ نَفْسَهُ فَيَنْطَبِقَ وَصْفُهُ عَلَى الْوَاقِعِ كَهَذِهِ الْآيَةِ.

يَسْأَلُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَشَوِّقِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى رُؤْيَيْهِ وَلَوْ مَنَامًا؟ السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ أَنْ تَكْثُرَ مِنْ قِرَاءَةِ سِيرَتِهِ الْعِطْرَةِ، أَقْرَأُ سِيرَتَهُ فَإِذَا بَكَ أَمَامَ خُلُقٍ عَظِيمٍ، وَأَمَامَ إِنْسَانٍ كَامِلٍ، وَأَمَامَ بَشَرٍ يَسْعَدُ مَنْ خَلْفَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَلْتَمَسَ خَطَاهُ؛ مِنْ شِدَّةِ مَا كَانَ يَعْبُدُ رَبَّهُ بِإِخْلَاصٍ وَعَنْ حَقٍّ، فِي سَهُولَةٍ وَيَسْرٍ لَا تَكُونُ إِلَّا إِذَا كَانَ مُوَفَّقًا مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكَلَامُ عَنْهُ لَا يَنْتَهِي:

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ * وَأَنَّهُ خَيْرُ خُلُقٍ خَلَقَ اللَّهُ كُلَّهُمْ



لكن:

وَكَيْفَ يَعْلَمُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ * قَوْمٌ نِيَامُ تَسْلُؤًا عَنْهُ بِالْحُلُمِ
إنك لا تدرك شيئاً من عظمة النبي وأنواره ﷺ إلا إذا قمت الليل كله،
وصمت النهار بحاله، واتقيت ربك على أحسن ما تكون التقوى، ثم بعد ذلك
ستشعر ما معنى: محمد بن عبد الله ﷺ.

ونحن في يوم هو يوم عيد؛ فقد وافق يوم الجمعة^(١) وهو عيد في الأرض
وعيد في السماء، في يوم تتكالب علينا وتتداعى علينا الأمم كما تتداعى الأكلة
إلى قصعة الطعام^(٢)؛ يقف بعض المسلمين مدافعين عن إسلامهم ومعتذرين،
وكان الإسلام عورة! وكأنه ميراث ثقافي قد توارثوه يعتذرون عنه! والإسلام
ليس كذلك.

الإسلام دين رب العالمين إلى عباده أجمعين، إلى يوم الدين. الإسلام هو
الكلمة الأخيرة، وهو العهد الأخير بعد عهدٍ قديمٍ حُرِفَ وُضِعَ، وعهدٍ
جديدٍ تلاعبوا به كل ملعب، وهذه هي الكلمة الأخيرة، وهذا هو العهد الأخير
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(١) أخرج أحمد في المسند، برقم (٨٠٢٥) من حديث أبي هريرة، وابن خزيمة في صحيحه:
٣/٣١٥، برقم (٢١٦١). عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ يَوْمَ
الْجُمُعَةِ يَوْمٌ عِيدٌ فَلَا تَجْعَلُوا يَوْمَ عِيدِكُمْ يَوْمَ صِيَامِكُمْ إِلَّا أَنْ تَصُومُوا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ» أخرجه
أحمد في المسند، برقم (٨٠٢٥) من حديث أبي هريرة، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه:
٣/٣١٥، برقم (٢١٦١).

(٢) هذه نبوءة نبوية لحال هذه الأمة في بعض أزمانها أخرج أبو داود عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَضَعَتِهَا». فَقَالَ قَائِلٌ:
وَمِنْ قَلِيلٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غَتَاءُ كَغَتَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ
صُدُورِ غَدَوِكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا
الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».



في مثل هذا العالم الذي نعيشه نريد أن نلتمس خطي رسول الله ﷺ، وأن نستهديه في سنته فهو الرحمة المهداة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ماذا كان يصنع معهم؟ كلّفنا بالدعوة إلى الله، فما الذي يعيقها في عالم اليوم؟ يعيقها في عالم اليوم جهل بحقيقة الإسلام، والإنسان. والمرء -كما قال الحكماء- عدو ما جهل، يعيقها في عالم اليوم إعجاب بالنفس، يصل إلى حد الكبر والإباء ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، ﴿إِلَّا إِلَيسَ ابْنِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿فَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

إعجاب بالنفس واستهانة بحال المؤمنين الضعفة، أخذ من تراكم الأساطير وأحاديث المدن الخرافية عن الإسلام والمسلمين، عن نبيهم، عن كتابهم، عن ربهم، عن قبلتهم، عن تاريخهم، عما صنعوا للإنسانية والحضارة؛ جهل عميق، وكبر مفتخر بنفسه وبقوته يسعى في الأرض فساداً وطغياناً وعدواناً.

يحول بيننا وبينهم تقليد الأولين والآباء، يحول بيننا وبينهم حب الشهوات زينها لهم الشيطان، يحول بيننا وبينهم أنهم تركوا أنفسهم لنفوسهم الأماراة بالسوء ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ﴾ [آل عمران: ١٤].

يحول بيننا وبينهم أننا إذا جلسنا إليهم نبلغ كلمة الله لا يصدقونها؛ لجهلهم، لكبرهم، لعجبهم، لفسادهم، لشهواتهم، لتخلف المسلمين، فليس هناك مثال قوي يبلغ عن الإسلام كما كان رسول الله ﷺ، فما الصفات التي





أمر الله بها نبيه وهو في حال ضعفه في مكة وضعف قوّاته ومن حوله، وهو في حال نصرته وعزته في المدينة؟

ما تلك الصفات التي كان يتخلق بها النبي ﷺ، والتي ينبغي على كل مبلغ منّا أن يتصف بها حتى يرقى إلى مرتبة الدعاة؛ لأن هناك فارقاً بين أن تكون مبلغاً وبين أن تكون داعية إلى الله، فكيف تكون داعية لا مجرد مبلغ؟!

يقول رسول الله ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١) فكلف الجميع بالبلاغ، إنما الدعوة والاشتغال بها أرقى وأعلى.

حتى تكون داعية لا بد أن تكون قد تخلقت بأخلاق رسول الله ﷺ عندما يقول له ربه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِتُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَشَقًّا﴾ [الكهف: ٦] باخع نفسك: مهلك نفسك.

إذن فلا بد عليك أن تصل إلى حالة تحمل فيها هم الدعوة، وهم الناس الكافرين وليس المؤمنين فقط، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨] كأنه ﷺ كان يتفطر في قلبه، يحمل هم الناس. يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرْبَهُ قَوْمُهُ فَأَذْمُوهُ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٢)، حتى يكاد يهلك! هل وصل أحد منا إلى هذا؟! أم إننا وقفنا بإزاء الكافرين موقف القضاة، وموقف المتعاليين عليهم، المتكبرين عليهم لأنهم تكبروا علينا؟!

الإنسان في حيرة بشأن هؤلاء -ورسول الله ﷺ يرشدنا ﷺ في تلك الحيرة- في حيرة أن يتركهم فيزدادوا كبراً، في حيرة أن نتركهم يتكبرون علينا ونحن

(١) سبق تخريجه، ص: ٢٥.

(٢) أخرجه البخاري: ١٢٨٢/٣، برقم (٣٢٩٠)، مسلم برقم: ١٤١٧/٣، برقم (١٧٩٢).





نتواضع لهم ونعفو ونصفح؛ فيزداد كبرهم وعجبهم، هذا إذا ما سرنا وراء عقولنا، وإلى وراء المادة التي تعلمناها منهم!

أما لو تعلمنا ما أرشدنا به رسول الله ﷺ أننا سوف نعفو ونصفح ﴿فَلَا نَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨] معناها أنه ينبغي عليك أن تصل إلى تلك الدرجة، ثم تأتيك الآية تسليك، وتطمئن من قلبك الذي قد تفرط حرصاً على الناس، وعلى هدايتهم ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْتَضَوْا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] حتى في الداخل المسلم كداعية تدعو الناس أجمعين كافرهم ومؤمنهم؛ فإذا كنت قد عفوت عن الكافرين، أفلا تعفو عن المسلمين؟! ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

هذه صفات رسول الله ﷺ، كان يتوكل على الله، وكان يعفو، وكان يستغفر للمؤمنين، وكان يشاورهم في الأمر ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعُرْوَةِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فكان لا يستعجل لهم العذاب، وكان يصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، وكان يرحم ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ وكان يلين. تلك هي صفات رسول الله ﷺ في القرآن.

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣] انظر إلى تلك الصفات المتتالية: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ﴾ ينقضون الميثاق، وعليهم غضب الله، وعليهم لعنة الله! أوبعد ذلك وصف لحال المشركين الكافرين؟! ثم سنرى كيف أمر الله رسوله أن يتخلق معهم، وبماذا ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنَاسِيَةً﴾ ﴿قُلُوبَهُمْ قَنَاسِيَةً﴾: وصف لما هو الآن حاصل بيننا، الآن في عصرنا الحاضر،





وكانها نزلت الآن، عتُلَّ يلبس الباطل بالحق والحق بالباطل ﴿لَمْ تَلِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُمُوهُ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدِيسَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ. وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] انظر الإنصاف، ووصف الواقع ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ أي لا تزال أنت ومن اتبعك إلى يوم الدين؛ لأن الأمة المحمدية تمثل النبي المصطفى ﷺ في حمل الكتاب إلى العالمين ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] ماذا نفعل؟ ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

أرأيت الصبر من أين يأتي؟ كافر عتُلَّ يشتم الله ورسوله وكتابه والمؤمنين، ويعتو في الأرض فساداً وعدواناً، فإذا بنا نواجهه ونحن على قوة، قوة الحق؛ فهي قوة حيثئذ تخضعه لنا، فإذا بربنا ﷻ يأمرنا أن نعفو عنهم وأن نصفح، ويعمم الحكم فيقول: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

إذن فينبغي عليك أيها الداعية، أن تحمل هم الدعوة إلى الله، وأن تعامل الناس وكأنهم أبناءك. ابنٌ لك قد كفر سيتعلق قلبك به، وتريد أن تدخل إليه من كل مدخل! فافصل في قلبك بين الحق والباطل، لا تواذ الكافرين بقلبك، ولا تمل إليهم ولا إلى أفعالهم الخبيثة، ولا إلى عقائدهم الشركية، ولكن ادعهم إلى الله بمثالك أولاً، وبمقولتك ثانياً، وبعقيدتك ثالثاً، ولا بد أن يكون كل ذلك صادراً عن قلبك؛ فإن صدر عن لسانك لا يصل إلى قلب ذلك الكافر، وبعد ذلك كله فإن قليلاً منهم من سيستجيب لك، لكنك قد فعلت ما فعل رسول الله ﷺ، وإنك لا تدري في أي منهم البركة، ولا في أي منهم الرحمة، ولا في أي منهم النفع للمسلمين.





التزم وكن قوياً، وهذا حال المسلمين لا يخفى عليكم من ضعف، حتى في حال الضعف كان رسول الله ﷺ يعفو ويصفح ويحسن! والله ﷻ ما جعل العفو والصفح والإحسان ميلاً لحال الكافرين؛ بل نفاصلهم بقوة، ولكننا ينبغي علينا أن نحب في قلوبنا أن يهدي الله العالمين، وأن يدخلهم الإسلام، وأن ينجيهم من النار ومما هم عليه من فساد وخسة.

أيها المسلمون، انتشر الإسلام بمثل أولئك الدعاة، الذين تخلقوا برسول الله ﷺ وعاشوا حاله، نظر الله ﷻ إليهم فنصرهم عندما نصره في أنفسهم.

كن متوازناً. اعلم الحق وافهمه، ودافع عنه وتلطف مع الناس، ولتحب الجميع من قلبك حب هداية، لا حب مصالح وشهوات تزول بزوالها، ويفقد الإنسان معها قيمته الإنسانية لفقد الاعتبار الإنساني في الحب افهموا عن الله؛ فإن من فهم عن الله يؤت الحكمة ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ادعوا ربكم.



أما بعد؛ فيا أيها المؤمنون، هذا شهر الأنوار، فأكثرُوا فيه من الصلاة على النبي المختار ﷺ؛ فإن كل عمل بين القبول والرد إلا الصلاة على سيد الخلق؛ لأنها تتعلق بالجناب الأعظم ﷺ، وهي تزيد في الأرزاق، وبسببها يغفر الله الذنوب، وبسببها يوفق الله للأعمال، وبسببها يرد عليك رسول الله ﷺ سلامك، وبسببها تزداد مساحة نصيبك في الجنة، وبسببها يأتي الخير كله؛ فأكثرُوا من الصلاة على النبي المختار.





أكثرُوا من الصلاة على النبي ﷺ في كل وقتٍ وحين، الهجوا بها في الصباح والمساء فرادى وجماعات، في بداية الدعاء، وفي بداية الأعمال وفي خواتيمها، علموا أولادكم حب رسول الله ﷺ؛ فحب رسول الله أساس الإيمان، ورسول الله ﷺ ركن من أركان الإسلام، لا يدخل أحدهم الإسلام بشهادة أن (لا إله إلا الله) إلا إذا ضم إليها (محمد رسول الله).

أيها الناس، مقدار نبينا عظيم، وهو الذي قال عن نفسه: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»^(١).

مقدار نبينا عظيم، لم يعظمه أحد في الناس! إنما الذي عظمه رب السماوات والأرض؛ فصلوا على النبي ﷺ في كل وقتٍ وحين، اللهم صل على سيدنا محمد صلاةً تخرجنا بها من هذه الأهوال، وتكون سبباً لتنزل الرحمت من عندك يا أرحم الراحمين.



(١) رواه مسلم: ١٧٨٢/٤، برقم (٢٢٧٨).



بَيِّنَةُ الرَّسُولِ ﷺ

من أفكار الخطبة:

- ١- حين يكون أقرب الأقربين معانداً للقضية عُتْلاً متكبِّراً.
- ٢- نبي رحيم القلب، يحب الناس، ويحرص على هدايتهم؛ فساوموه!
- ٣- هل نبرر إسلامنا أو نعتذر عنه؟! كلا!
- ٤- ديننا قوي عزيز، وفارق بين التفسير والتبرير.
- ٥- إن ضاق صدرك؛ فالجأ إلى التسبيح بحمده ﷻ وكُنْ من الساجدين.
- ٦- في أنباء الرسل ما يرشدك في طريق الدعوة إلى الله.
- ٧- لا يمكن أن تثبت إلا بأن يثبت الله ﷻ أقدامنا وقلوبنا وأفئدتنا.
- ٨- الإعلام لا يعطي إلا صورة باهتة، فكن على علم بسنن الله الكونية واستشهد بالقرآن.
- ٩- اليأس من روح الله ليس صفة المؤمن، ولكن رجاء يثير الهمم، ويدفع للعمل.
- ١٠- كُنْ عبد الله الرحيم. أيها الداعية، كُنْ رحيماً بمن في الأرض!



بَيْتُ الرَّسُولِ ﷺ

وبعد: فهذا شهر كريم، ولد فيه الحبيب المصطفى والنبى المجتبى ﷺ؛ فأصبح شهر النور؛ نور في أوله وفي أواسطه وفي آخره، وسمي بربيع الأنور؛ لأن ضياء النبى المصطفى ﷺ شرف الدنيا فيه.

أيها المؤمنون ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] وفي هذا الشهر الكريم نلتمس أخلاق
رسول الله ﷺ؛ حتى تكون أسوة حسنة لنا، نتبع هداها ونسير على نهجه في
دينه، في أوامره في نواهيه، نعيش معه ﷺ إماماً للمؤمنين، ورسولاً من عند رب
العالمين، وخاتماً للنبيين مبلغاً عن ربه، فكان أحسن الدعاة إليه ﷺ.

مع رسول الله ﷺ نلتمس من نهجه ومن حياته ومن أخلاقه، ما يضيء لنا
ظلمات العصر الذي نعيش فيه؛ فنحن نعيش في ظلمات وكوارث وكدر ونريد
أن نهتدي بالسراج المنير، كيف كان رسول الله ﷺ يعيش، وبلغ دعوته؟ كيف
كان يشعر في قلبه؟ كيف كان يواجه الناس المؤمن منهم والكافر؟ كيف كان
رسول الله ﷺ يصبر على البلاء؟ كيف كان يحمل هم الدعوة في قلبه؟ من
الذين أحاطوا به؟

هيا بنا إلى كتاب ربنا ننهل في رُبوعه ونلتمس رضاه ونتدبر آياته، هيا بنا
إلى كتاب ربنا ﷺ نرى فيه من ذلك النبى الذي هو خير الخلق أجمعين،
والذي وصفه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] من ذلك النبى الذي
أكرمنا الله به، والذي شرفنا بالانتساب إليه ﷺ - في شهر مولده الأنور؟



وفي هذه الجمعة نتحدث عن البيئة المحيطة برسول الله ﷺ، من الذين أرسل فيهم رسول الله ﷺ؟ وهل نحن في بيئة أسوأ؟ وماذا نفعل؟

يقول ربنا ﷺ وهو يصف أقرب الأقربين للنبي ﷺ، حيث يصف عمه، وهو عم النبي الشقيق، فهو من ورثته الشرعيين، ومعلوم أن النبي ﷺ لم يعيش له ولد يرثه بعد وفاته، فعمه إن عاش وارثه ولكن حكم الله على ذلك العم وهو أبو لهب بالكفر، والقضية ليست أحساباً ولا أنساباً، إنما هي قضية توحيد، وقضية عقيدة، وقضية وحي؛ فإذا بنا نجد القرآن يقول: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ (٣) وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۚ﴾ [المسد: ١-٥].

يصور لنا ربنا ﷺ أقرب الأقربين معانداً للقضية عنيداً متكبراً غثلاً، يصورهم وهم يريدون منه أن يغير الوحي وأن يتركه ولو شيئاً قليلاً ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِيُفْتَرَىٰ عَلَيْنَا غَيْرُهُ ۖ وَإِذَا لَاتُخَذُوكَ خِلَالًا ۖ (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ تُبَنِّنَاكَ لَفَدَّتْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ (٧٤) إِذَا لَادَفَنَّاكَ أَصْحَابُ الْحَيَاةِ ضَعِيفَةٌ ۖ (٧٥) ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا ۚ﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

إذن فنحن أمام نبي رحيم القلب يحب الناس، ويريد لهم الهداية، لا يدع وسيلة لإتيانهم لحظيرة الرب ﷻ، ولكن ماذا يكون -وهو لم يكن- لو أنه لو سكت عن كذا وكذا تخفيفاً عليهم!! لو أنهم قد وافقهم ولو مرحلياً!! فينزل كلام ربنا ﷺ ليثبت فؤاد النبي المصطفى أنه ما عليه إلا البلاغ المبين، وأنه ولو كان ذلك الترك القليل الذي لا يؤثر في هيكل الدعوة ولا في مظهرها؛ سوف يؤدي إلى أن أولئك يتخذونك خليلاً؛ فلا تفعل.





التفت أيها المؤمن، إن هذا الكتاب لما نزل نزل عليك، وإليك، وأنت المخاطب بهذا، فكأن هذا يخاطبك أنت، النبي ﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى، والنبي ﷺ كان على يقين من ربه، والنبي ﷺ لا يرضى ولا يفكر فيما يخالف ربه ﷻ، إنما نزل ﷺ من أجلنا، ولهدايتنا؛ حتى يبين لنا الطريق القويم، ويقول إذا كان ذلك من شأن سيد المرسلين؛ فعليك أيها الداعية أن تعبد الله على يقين، وأن تصدع بما تؤمر، وأن تعرض عن المشركين، وأن تبلغ الدعوة كما هي.

ولكن نرى الآن محاولة لتبرير أحكام الإسلام، نرى وصفاً لها بأن الإسلام يدعو إلى (الديموقراطية) والتعددية، ويحافظ على حقوق الإنسان، ويرعى حقوق المرأة وينصفها، من أجل أن نقول للغرب وللمهمنين على العالم: الإسلام يقول ما تقولون -مما لا تفعلون- فأسلموا نتوسل إليكم أن تسلموا!! نرجوكم نقبل أياديكم وأرجلكم، كلا.

علمنا ربنا غير ذلك، علمنا فقال: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ [الحجر: ٩٤-٩٩] أوبعد ذلك بيان!! أوبعد ذلك رسم لطريق الله!

يعلّمنا ربنا -من خلال صفات النبي المصطفى في القرآن- أن البيئة التي كانت تحيط به كانت بيئة فاسدة ﴿وَلَا تُطْعَمُ كُلُّ حَلَاظٍ مَّهِينٍ﴾ (١٠) هَٰذَا مَثَلٌ نَبِيٍّ (١١) مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُنِيَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَك أَسْطُورٌ أَلْأَوَّلُ (١٥) سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُوطِ ﴿١٦﴾ [القلم: ١٠-١٦] نعم بيئة تشبه البيئة التي نعيشها في عالمنا اليوم.

لم تؤمر بالمجاملة، ولا بتغيير شرع الله، ولا بتبرير أحكامه، إنما أمرنا





بتبليغ آياته للعالمين؛ فمن آمن فلنفسه، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين، وإن ضاق صدرك أيها الداعية فالجأ إلى التسبيح بحمده ﷻ، وإلى اللهج بذكره، وكن من الساجدين ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] فاليقين هو الموت ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ٣-١].

يصف ربنا من كان حول النبي المصطفى والحييب المجتبي؛ فيقول جل في علاه: ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ [الحج: ٧٢] أولاً يتم هذا بيننا؟! أو كلما ذكرناهم بكلام الله رأيت المنكر على وجوههم، والاشمئزاز من ذكر الله وحده في القرآن! ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ و﴿بَيِّنَاتٍ﴾ يعني أنهم يكادون أن يقتنعوا بها، لكن الكبر والعجب يمنعهم، والكبر والعجب من عوائق الدعوة.

﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُوتَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا﴾ [الحج: ٧٢] يريد أن يقوم عليك وأن يضربك، أن يثبثك^(١)، أولاً يتم هذا؟! أولاً نعرف المنكر في وجوه الذين كفروا؟! بللى والله نعرفه، والله هو محيط بنا، وأمرنا الله مع أمرنا بالصبر والرحمة وحمل هم الدعوة -أمرنا ربنا بالحكمة، ولكن في حدود عدم تغيير شرع الله ولا أحكامه، ولكن في حدود البلاغ المبين ﴿يَكَادُونَ يَسْطُوتَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَُمُ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٧٢] ربط المسألة بالآخرة.

(١) ثبته: جرحه حتى أثقله فلم يتمكن من القيام، أو ثبَّطه. لسان العرب: ١٩/٢.





فما عليك أيها الداعية إلا البلاغ المبين: برأفة، برحمة، بحب للناس، بحمل هم الدعوة في القلوب، من غير أن تغير شيئاً في دين الله، ومن غير أن تدهن أو أن تترك شيئاً؛ حتى تكون خليلاً لهم، وإذا حدث في قلبك هذا فلتتل الآيات تثبت بها فؤادك ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢] ولتتل أخبار الرسل من قبلك، بما فيهم المصطفى ﷺ؛ فإن في أنباء الرسل ما يرشدك في طريق إلى الدعوة إلى الله، وأنباء الرسل قد حُفظت لنا في القرآن؛ فإنه لم يُنقل إلينا مصدر سوى القرآن قد حُفظ عن التحريف والتخريف، تدبر أخلاق النبي، من خلال سنة المصطفى ﷺ، من خلال القرآن.

عش وسط ما كان النبي ﷺ يعيشه، وكيف كان ربه يأمره بـ «افعل» و«لا تفعل»، كن عبد الله الرحيم، من غير تغيير ولا تبديل، ولا مدهانة ولا ترك شيء من دين الله من أجل الكافرين؛ فما على الرسول إلا البلاغ المبين. ادعوا ربكم.



أما بعد؛ فيا أيها المسلمون ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] مبدأ قرآني يحمله المسلم في حياته ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ﴾ على كل ما هنالك من أذية المسلمين في العالمين ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ ولا يمكن أن نثبت إلا بأن يثبت الله ﷻ أقدامنا وقلوبنا وأفئدتنا، ولا يمكن أن نذكر الدنيا إلا إذا ذكرنا ربنا.

والحاصل الآن في كثير من حديث المسلمين، أنهم يتكلمون عن مكر الناس وعن كيدهم، وعن بطشهم وعن طغيانهم، وكأنهم يتكلمون عن قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ولا يتكلمون عن قوله ﷻ: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ





الْمَكْرِينَ ﴿[الأنفال: ٣٠]﴾ فنتكلم أن الناس يعتدون علينا، ولا نتكلم عما قد وهبنا الله من صبرٍ وثبات، وعزة وانتشار، وكلام ودعوة، إلى يومنا هذا بعد حربٍ دامت مائتي عام، حرب إبادة، وحرب تجويع، وحرب استعمار، وحرب إذلال، وحرب تخريب لعقول الأمة، وما زالت الأمة تحيا، أليس ذلك من عند الله؟! كلما دعونا في يوم الجمعة أن يلقي الله البأس بينهم، ظهرت الجرائد أنهم لا يتفقون على رأي، وأن الله يلقي العداوة ويُغري بينهم، إنما يظهرها الإعلام بصورة باهتة لا تساوي فضل الله؛ ولذلك يأس بعض الناس والعياذ بالله، واليأس من روح الله من صفات القوم الكافرين.

فلا تيأس أيها المسلم، واعتز بربك ﷻ، وادعوه بالليل والنهار؛ فوالله إنه يستجيب لنا، والله إنه ليرينا آياته الليل والنهار. والحمد لله رب العالمين.

أما ما نحن فيه من بلاء، فمن تقصيرنا وُعدنا عن سنة نبينا ﷺ، واستمرارنا على معصيتنا، وسوء تربيتنا لأولادنا، ودخول الوهن في قلوبنا، والنبي ﷺ يرسم لنا الخطة؛ فإن نخرج الوهن من قلوبنا ينصرنا ربنا.

إذا أخرجت الوهن من قلبك نصرك الله.

أيها المؤمن، ليكن هذا الأسبوع أسبوع تدبر أخلاق النبي المصطفى والحبيب المجتبي في القرآن الكريم، تدبر آياته، وعش معها، وكن بها، وانطلق من خلالها، فاللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.



الرَّسُولُ الْمُرَبِّيُّ

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من أفكار الخطبة:

- ١- غاب عنا جسداً وهو فينا نوراً وهدياً، وتناعت الديار عن مثواه وفي قلوبنا سكناه.
- ٢- حُب رسول الله ﷺ ركن الإيمان، وأوثق عراه؛ فاستمسك!
- ٣- القرآن لا يتكلم عن أقوامٍ بعينهم وأشخاصهم، وكأنه سرد تاريخي، إنما يقص القصص الحق، ويضرب المثل، وتتنوع فيه الأساليب، وغايته بناء الإنسان.
- ٤- الإسلام قوته ذاتية، وإنما تظهر قوة المؤمن بحسب تمسكه بهدي ربه ﷺ.
- ٥- افهم القضايا، واخرج من إطار «الشخصنة»^(١).
- ٦- الرسول المرابي: منهج رباني في وسط متباين، وسراج يذير ميادين النفس البشرية.

(١) أي الذاتية والالتفاف حول النفس.





ها نحن قد أتينا إلى نهاية شهر ربيع الأنور، كما تمضي الأيام سريعاً، كما تفلّت منّا رمضان، وكما تفلّت منّا ذو الحجة، وكما تفلّت منّا مُحَرَّم تفلّت منّا شهر النبي المصطفى والحييب المجتبي صلوات ربي وسلامه عليه.

وها هي الجمعة الأخيرة نلتمس فيها من كان حول النبي ﷺ ونأخذ منهم العبرة التي تساعدنا في ورطتنا التي نحن فيها؛ فإننا حول النبي ﷺ، وإن غاب عنا بجسده لا يغيب عنا بسنته وشريعته، وإن تناءت الديار وبعُدت المسافات عن مثنوى الحبيب المصطفى ﷺ، فهو في قلوبنا وعقولنا ونفوسنا، في كل زمانٍ ومكان، لا باب إلى الله سواه، ولا نبي بعده، ولا هادي إلى طريق الحق إلا إياه، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، سُدَّتْ الطرق إلا طريقه، وانتهت الشرائع إلا شرعه، وما رضي الله ﷻ بغير الإسلام ديناً، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك^(١).

نريد أن نلتمس صفات من حوله ﷺ، خصوصاً في حال قصورهم؛ فإننا مقصرون، وشأننا شأن المقصرين ممن كانوا حوله، وربنا ﷻ عندما نبّه على تقصيرهم، إنما كان يعني أمثالنا ممن قَصُرَ في حق النبي ﷺ.

رسول الله ﷺ يجب علينا أن نلتمس سنته وشريعته، وأن نفهم مراد ربنا من كلامه ومن وحيه لنبيه ﷺ حتى نطبقه، إلا أن كثيراً من المسلمين -ونرجو أن

(١) كما في الحديث عن العرباض بن سارية الذي أخرجه أحمد: ١٢٦/٤، برقم (١٧١٨٢)، وابن ماجه: ١٦/١، برقم (٤٣)، والحاكم: ١٧٥/١، برقم (٣٣١).





يعودوا إلى حظيرة الله، وإلى حظيرة الدين، وإلى حظيرة النبي المصطفى ﷺ - وكأنه يسعى لمخالفة سنة النبي ﷺ في نفسه وأهل بيته، في جوارحه وأفكاره ونفسه؛ يقول بلسانه: إنه مسلم، وقد يقتنع بعقله، إلا أنه لا يتحرك في إطار ذلك الإسلام، ولم يغير فيه الإسلام ما يجعله عبداً ربانياً كالأوائل؛ خرجوا للعالم فأخرجوه من الظلمات إلى النور، وكانوا مثلاً صالحاً للعبد الصالح.

هيا بنا مع تلك الآيات البينات، يذكر ربنا فيها هذا الشأن: ﴿يَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ٤٨ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٥٠ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٤٧-٥١].

آيات بينات تصف حالنا قبل أن تصف حالهم، كتاب ربنا لم ينزل لعصر معين، ولا يتكلم عن أقوام بعينهم وأشخاصهم، وكأنه سرد تاريخي؛ إنما يقص القصص الحق، ويضرب المثل، وتنوع فيه الأساليب، وغايته بناء الإنسان؛ فهو خطاب للبشرية جمعاء إلى يوم الدين.

هذه الآيات وكأنها تصف حالنا في عصرنا النكد ﴿يَقُولُونَ بَلَيْسَتِھُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١] يقولون بالسنتهم ما في عقولهم، ولم يصل إلى إيمانهم وأرواحهم، يقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا، وبعد ذلك لا نرى أثراً لهذا الإيمان، ولا نرى أن هذا الإيمان قد حرك النفس المؤمنة لعبادة الله، ولا لعمارة الأرض، ولا لتبليغ الدعوة التي أمر الله أن تُبَلِّغ بين الناس، ولا أن يغير ما بنفسه حتى يغير الله حاله، ولا أن يأمر بالمعروف وينهى عن



المنكر، ولا بأن يتخلق بأخلاق النبوة التي أتى بها النبي ﷺ؛ ليكون الأسوة الحسنة فيها، ولا شيء إطلاقاً نراه بعد هذه المقولة التي لم تتعدّ اللسان.

﴿ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٤٧] كلام حلّو، كلام لطيف، ولكن أين العمل؟! أين تغيير النفوس؟! لا وجود له، هل كانوا بذلك منافقين؟ أبداً؛ لأنهم بعد ما قالوا ذلك -يأتي التعبير القرآني بكلمة ﴿ثُمَّ﴾ [النور: ٤٧] يعني بعد ذلك- عندما أتت المواقف وأتى الاختبار العملي رأيناهم قد رسبوا في الامتحان، وفشلوا في الاختبار ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [النور: ٤٧] ثم نرى منهم، بالتبعيض، وليسوا جميعاً؛ لأن الامتحان درجات والمواقف كثيرة؛ نراهم يتولون ويعرضون ويجعلون إسلامهم واقفاً عند حد لسانهم وقولهم، دون أن يتعدى إلى شيء آخر ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [النور: ٤٧] كلمة مهمة؛ لأنها تؤكد المراحل والأنواع والدرجات والمواقف المتتالية، ولكن الله ﷻ رب العالمين ينبئنا بأن هذا ليس من الإيمان في شيء ﴿وَمَا أَوْلَيْتَكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧].

إذن فهؤلاء الناس ينبغي عليهم أن يغيروا حياتهم، إنما شأن المؤمنين ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] وأن يقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] اسمعوا وأطيعوا، ولكن بدون استجابة وبدون تغيير فلا يمكن للمؤمنين أن يفوزوا. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١].

أيها المسلمون، إن الإسلام دين قوي اتخذته الناس أو كفروا به، وهو دين قوي آمن به المؤمنون وكتموه أو صرّحوا به، وهو دين قوي فعّله الأقوياء وطبقوه أو أنهم أخفوه، هو دين قوي على كل حال.

إن قارنّا الأديان فدين الإسلام لا مثيل له في مصدره وفي نقله، وفي



مبادئه وفي أحكامه، وفي تشريعه وفي نظريته، وفي السعي إلى الحقيقة وفي كل جوانبه لا مثيل له، إن آمن الناس به أصبحوا أقوياء، إن طَبَّقُوهُ أصبحوا أقوى، إن لم يطبقوه لا يزال قوياً في نفسه، وإن أضعفه المسلمون بعدم تطبيقه أمام الناس يُعَدُّ ظهوره ولا تعدُّ قوته، والنبي عندما يقول ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ»^(١) فالمؤمن القوي لا تظهر قوة الإسلام فيه إلا بالعمل، فإذا عمل ظهرت قوة الإسلام، وحينئذ يكون خيراً وأحب إلى الله من المؤمن الذي يعتقد الإسلام في قلبه وهو ساكت صامت، لا يعمل ولا يسعى من أجل ذلك الإسلام.

رزق الله النبي ﷺ بمجموعة من أصحابه، قد آمنوا بقلوبهم ووقَّروه وعظموه وعزَّروه ونصروه، وأظهروا إسلامهم في أعمالهم، وكانت هناك طائفة من المؤمنين ضعيفة تفعل ما يخالف الأدب مع رسول ﷺ، وجَّه لهم الكلام وقال لهم: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ^(٣) إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ١-٣] فكانت هناك طائفة من المؤمنين كشأننا في حياتنا الدنيا الآن مؤمنة مسلمة، لكنها تواق للخرج عن الأدب مع رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه مسلم: ٢٠٥٢/٤، برقم (٢٦٦٤).





والذي نريده منكم أيها المسلمون وأوصي نفسي وإياكم ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ
النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣] أن نعود إلى الأدب مع رسول الله
ﷺ، وأن نظهر إسلامنا في أعمالنا، وقوته في احتكاكنا بالكون عبادةً وعماراً،
وأن نجعل الإسلام يثير نفوسنا لهذا التلقي، ولهذه الحضارة ولهذا العمران.

ينبغي علينا أن نتمثل صحابة رسول الله ﷺ، الذين هم كالنجوم بأيهم
اقتدينا اهتدينا «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا
بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ»^(١).

نريد أيها المسلمون أن تثور أنفسنا لله من منطلق هذا الحق الذي عرفناه،
انظر إلى طوائف من كان حول النبي ﷺ في القرآن. وتدبر؛ ستجد الكافرين،
وتجد أهل الكتاب، منهم من آمن، ومنهم من بقي على جدله وكفره، وتجد
المؤمنين الحق، وتجد المنافقين، وتجد أولئك المؤمنين الذين حالهم كحالنا
ولكنهم كانوا قلة، وكان جمهور الصحابة ممن نصرُوا الله ورسوله ﷺ في
أنفسهم، وكأن هؤلاء قد خلقهم الله وأوجدهم حتى يُنَزَلَ فيهم قرآنًا يعالج
مشكلاتنا، ويعالج تعدينا حدود الأدب مع رسول الله ﷺ.

اجعل هذا الشهر الكريم -ولم يبق فيه إلا أيام- لتدبر من كان حول
رسول الله ﷺ، وأنزل نفسك منزلتهم، وتلق الخطاب من ربك، وكأنه يخاطبك
أنت ويأمرك بأن ترضى بحكم الله ورسوله ﷺ في نفسك، وبأن تذهب إلى
رسول الله ﷺ ليس فقط عندما يكون لك الحق، وإنما دائماً؛ لأنك تسعى إلى
معرفة الحق، سواء أكان الحق معك أو ضدك.

(١) أخرجه: أبو داود: ٢٠٠/٤، برقم (٤٦٠٧)، والترمذي: ٤٤/٥، برقم (٢٦٧٦) وقال: حديث
حسن صحيح.





ينبغي عليك أن تفهم القضايا، وأن تخرج من إطار «الشخصنة» إن صح التعبير.

ينبغي عليك أن تجعل الإسلام ثورةً في نفسك، تغير بها مجتمعك وناسك، وتخدم بها الخير حيثما كنت.

اجعل هذا الشهر الكريم -وهو شهر رسول الله ﷺ- مجالاً للتدبر في هذه النقطة؛ فإنها قد تغير حياتك، وقد تجدد يومك، وقد تنقلك من دائرة إلى دائرة، ونرجو الله لنا جميعاً التوفيق. وادعوا ربكم.



أما بعد؛ فيا عباد الله أكثروا من الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ بالليل والنهار، وأنزلوه مربيًا ومعلمًا منزلة الوالد من الولد فهو يقول: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ»^(١)، ومنزلته لا تضاهي ولا تُقارن ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] وأحبوه حبًّا بالقلب وبالعقل وبالروح وبالنفس، واجعلوه إمامًا لكم في الحياة الدنيا، وادعوا الله أن يكون إمامًا لنا في الآخرة شفيعًا لأمته، اللهم يا ربنا نتوسل إليك باسمك الأعظم الذي إذا ما دعيت به أجبت، أن تؤتي محمدًا الوسيلة والفضيلة، والدرجة العالية الرفيعة، وأن تنفعنا به في الدنيا والآخرة.



(١) أخرجه النسائي: ٣٨/١، برقم (٤٠)، وابن ماجه: ١١٤/١، برقم (٣١٣).



رِجَالٌ وَنِسَاءٌ حَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ

من أفكار الخطبة:

- ١- الناس في العالمين يحتاجون المسلمين، والمسلمون لا يلتفتون إلى هذا الاحتياج!
- ٢- الرهان اليوم على الأسرة المسلمة، وأول ذلك المرأة المسلمة.
- ٣- علموا أبناءكم حُبَّ رسول الله ﷺ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، خُلُقًا وَخُلُقًا؛ فهو الإنسان الكامل.
- ٤- في متعلقات النبي وآثاره حكمة تدل على معناه للمتوسمين.
- ٥- اجعلوا مجالسكم لرسول الله ﷺ، واذكروه في بيوتكم.
- ٦- اقرأوا سيرة رسول الله ﷺ، درّسوها أبناءكم، واحفظوا شأنه الكريم فينا.
- ٧- خذوا عنه؛ فإنه ﷺ المعصوم الذي ارتضاه ربنا ﷻ مثالاً للعالمين.



رَجَالٌ وَنِسَاءٌ حَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ

وبعد: فهذا قد مر شهر المولد النبوي الكريم، شهر الأنوار، وتفتق الأسرار، شهر ظهر فيه المصطفى الكريم للعاملين، بإذن رب العالمين، رحمة للعاملين.

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ * يَا طِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمٍ
جاء سيد المرسلين فأرشدنا وقال: «يَلْعَنُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١)، وأمرنا أن
نحمل هذا الدين لمن بعدنا، فحمله من حملة، والتزم بحدوده وأوامره ونواهيه
مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بالتقوى، وخرج عن ذلك مَنْ مَنَّ عَلَيْهِ اللَّهُ بالإسلام فأبى إلا
العصيان، ونحن ندعو الله للأمة أن ترجع إلى دينها، وإلى حظيرة نبيها، وأن
تجعل مثل هذه الاحتفالات التي نتذكر فيها الأسوة الحسنة التي ارتضاها الله
رحمة للعاملين، وبياناً لرسالاته، وختاماً لنبواته، واصطفاء لأحبابه، وتجلية
لهموم الناس - نجعل هذه الاحتفالات تذكرة لنا في الدعوة إلى الله، نحمل
هذا الدين للعالمين؛ فإن الناس في أشد الحاجة إلى المسلمين، بعد أن عَقَّ
الولد أباه وأمه، وفضَّلَ آبَاءَ وَأُمَهَاتِ الكلابِ على كثير ممن لبس الثياب، وبعد
أن شاعت التفرقة العنصرية في الأرض، وبعد أن اتبع الناس كل مخرف
ومحرف، وبعد أن أفسد المفسدون في الأرض فساداً كبيراً.

فإن الناس في العالمين في الشرق والغرب يحتاجون إلى المسلمين،
والمسلمون - ومعهم الكنز الأعظم - لا يلتفتون إلى هذا الاحتياج؛ فيجب علينا
أن نعود إلى كتاب ربنا وإلى سنة نبينا نهل منهما ونستخرج منهما الكنوز،

(١) سبق تخريجه، ص: ٢٥.



ونبين للعالمين هدايتهم إلى ربهم، قال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» صدق رسول الله ﷺ، وهو حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي^(١) وغيرهم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

والرهان اليوم على الأسرة المسلمة؛ فإن الكافرين يراهنون على تفكيكها، الرجل المسلم ينبغي أن يفهم حقيقة العلاقة مع المرأة، والمرأة المسلمة ينبغي أن تقف في وجه الكفران والطغيان، وأن تبدأ في رعاية بيتها، وفي رعاية زوجها، وفي رعاية أبنائها إن من الله عليها بالولد؛ فكلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته.

ينبغي على الرجل والمرأة أن يرجعا إلى معيشة رسول الله ﷺ وإلى أوامره وهداياته، وأن يُحوّل هذا كله إلى برنامج عمل يومي، يحببون فيه الأبناء في رسول الله ﷺ، في أشياء: في خاتمه في عصاه في قوسه ورمحه وسيفه، في بردته الشريفة ومكحلتة وفي نعليه، ونعلا رسول الله ﷺ نضعهما فوق رؤوسنا تاجًا، نفخر بهما على العالمين، رسمها المسلمون على القلنسوات^(٢)، ووضعوها فوق رؤوسهم؛ تعظيمًا لجلاله ﷺ، وتعظيمًا لقدره الذي لا يُعرب عنه ناطق بضم.

(١) أخرجه أحمد: ٥/٢، برقم (٤٤٩٥)، والبخاري: ٨٤٨/٢، برقم (٢٢٧٨)، ومسلم: ١٤٥٩/٣، برقم (١٨٢٩)، وأبو داود: ١٣٠/٣، برقم (٢٩٢٨)، والترمذي: ٢٠٨/٤، برقم (١٧٠٥).

(٢) جمع قلنسوة، وهي البرنس، وهو كل ثوب رأسه منه مُلتَزَقٌ به ذُرَاعَةٌ كان أو مُطْطَرًّا أو جُبَّةً.



رجال ونساء حول الرسول ﷺ

أشياء رسول الله ﷺ: كيف نأخذ منها حب رسول الله من ناحية؟ وكيف نأخذ منها أخلاق رسول الله من ناحية أخرى؟ وكيف نعلم أبناءنا حب رسول الله ﷺ وأخلاقه منها؟

خاتمه الشريف: لم يزد في وزنه عن درهمين (جرامات ستة) يعني لا يزيد عن عشرة جنيهات، بفص عقيق وهو من أرخص أنواع الأحجار وإلى يومنا هذا، نَقْشُهُ: الله، وتحتة بسطر: رسول، وتحتها بسطر: محمد؛ فقرأ من أسفل إلى أعلى:

رسول الله



صورة لخاتمه الشريف مأخوذة من رسائله ﷺ

إعلاءً للفظ الجلالة وتواضعاً، وهو خيرٌ من تَوَاضَعَ من العالمين لربه، وإرشاداً للأمة أن التفاخر والتكبر لا يحبه الله ﷻ، كان ﷺ قادراً على أن يلبس الديباج والسندس، فقد كان ملكاً عظيم الملك، كان ملكاً مجيئاً منتصراً، ينتصر على أعدائه، ويفتح الأرض في المشارق والمغارب، لكنه تخير جانب ربه، وتخير التواضع في الدنيا والزهد فيها، بعد أن عرضت عليه من قبل ربه، ومن قبل الناس.



وسادته ﷺ: كانت من ليف خشن، وكان عظيمًا بربه في نفسه، ولم تكن الأشياء دالة على فخامة نفسه، ولم تكن الأشياء هي الدالة على عظمتها في نفسه، كما يربط كثير من أبنائنا بين فخامة الأشياء، وبين العزة في النفوس.

علموا أبناءكم من سيرة رسول الله ﷺ أن يفصلوا بين التواضع لله في الظاهر، وأن الأمر إنما مداره العمل والحركة، والحركة فيها بركة عندما تكون لرب العالمين، وبين الربط الخائب المادي بين الأمور المادية الظاهرة، وبين الفخامة في النفوس. بينوا لهم كيف أن رسول الله ﷺ في عصاه التي كان يمسك بها لم تكن من قرن الخريت ولا من العاج ولا من مادة غالية فخيمة؛ بل كانت غصن شجرة لا يؤبه له، لكن خاتم رسول الله -الذي في وزنه لا يساوي عشرة جنيهاً- لو وجد الآن ندفع فيه أرواحنا؛ لأنه أخذ القيمة من سيدنا رسول الله ﷺ بالبركة التي كانت في يده، لا ندفع فيه أموالاً؛ فإن أموال الأرض لا تكفي، إنما ندفع فيه مهنجنا حفاظاً عليه وتبركاً به.

علموا أولادكم حب رسول الله ﷺ؛ فإن حبه ركن الإيمان، ظل هذا الخاتم يتوارث حتى ذهب إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه، فضاع منه في بئر (أريس)، فأخذ يبحث عنه، ونزح البئر مرات، وخصص له كتيبه للبحث عنه، وكانت الصحابة الكرام تحب أثر رسول الله ﷺ وتترك به حباً فيه.

فلما جاء في يوم الحج الأعظم وحلق شعره ﷺ في المناسك، تخاطفته الأنصار، فأمر أبا طلحة بتفريقه بينهم^(١)، ولما جاء أم سليم فرحت به وأخذته

(١) لَمَّا رَمَى رَسُولُ اللَّهِ الْجُمُرَةَ، وَنَحَرَ نُسُكَهُ وَحَلَقَ، نَآوَلَ الْحَالِقُ شِقَّةَ الْأَيْمَنِ فَحَلَقَهُ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ نَآوَلَ الشَّقَّ الْأَيْسَرَ، فَقَالَ: «اخْلُقْ» فَحَلَقَهُ، فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ: «اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ». رواه مسلم: ٩٤٧/٢، برقم (١٣٠٥). قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: لِأَنَّ يَكُونَ عِنْدِي مِنْهُ شَعْرَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، انظر: مسند أحمد: ٢٥٤/٢١ برقم (١٣٦٨٥).





تذوف به طيبها^(١). واحتفظوا بشعره يتوارثونه؛ تبركاً بسيد الخلق أجمعين؛ حتى وصل إلينا بعض الشعرات إلى يومنا هذا محفوظة في (طب كابوي) في تركيا، وفي (طشقند)، وهنا في (مصر).

كانت تحفظ آثار النبي في المكان الذي تسمى على النيل بـ (أثر النبي)، وهي الآن محفوظة في حجرة المخلفات النبوية بمسجد سيدنا الحسين عليه السلام، أشياء رسول الله ﷺ ليس فقط تحببنا فيه، ونتعلق بها ونبرك بها، فهذا أمر لا جدال فيه بين الأمة كلها، حتى الذين نهوا عن التبرك بغيره لم يستطيعوا إلا أن يثبتوا التبرك بآثاره الشريفة، كما تبركت الصحابة بعرقه وبدمه وببوله وبشعره وبدمه، ﷺ في أحاديث كثيرة تملأ الصحاح.

لكننا أيضاً نريد أن نعلم القيم والأخلاق التي وراء هذه الأشياء، من التواضع الجرم وعدم التعلق بالدنيا، واعتبار الحركة والسعي والعمل، والعلم والعمل، من اعتبار العظمة الداخلية للمؤمنين، نريد أن نتعلم منها ما أَرَادَهُ اللهُ لنا من ألا نتعلق بالأشياء كما فعل رسول الله ﷺ، في يوم مولده الكريم ينبغي علينا أن ندرس من كان حول الرسول، وكيف أثر فيهم، وكيف بنى جيلاً نتحدث به إلى اليوم، وكان خير أمة أخرجت للناس، وكان خير قرن «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ»^(٢)، كيف بنى فيهم العزة والكرامة، كيف بنى فيهم الجهاد وبذل النفس.

رجال حول الرسول ونساء حول الرسول، غيرهم جميعاً من الجاهلية إلى

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَخْلُقَ الْحِجَامَ رَأْسَهُ أَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ شَعْرَ أَخِي شَقِي رَأْسِهِ بِيَدِهِ، فَأَخَذَ شَعْرَهُ فَعَجَّاهُ بِهِ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ. قَالَ: فَكَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ تَذُوفُهُ فِي طَبِيبِهَا. رواه أحمد: ٤٦٦/١٩ برقم (١٢٤٨٣). والأخبار في تبرك الصحابة بآثاره ﷺ لا تكاد تحصى.

(٢) رواه البخاري: ١٣٣٥/٣، برقم (٣٤٥٠). من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.





نور الإسلام، وأخرجهم من الضلالة إلى الهدى، وجعل الواحد فيهم واعياً بحقيقة مراد الله في كونه، ساعياً لتحقيق ذلك في الأرض، هلا تحولنا إلى أولئك الذين وعوا وسعوا؟! هلا تحولنا إلى أن نطلق الدنيا من قلوبنا ونخرجها من قلوبنا ونجعلها في أيدينا في ذكرى مولده الشريف ﷺ؛ حتى تتوافق ألفاظنا مع عقائدنا، وتتوافق أعمالنا مع ألفاظنا وأقوالنا ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿الصف: ١-٢﴾، فالحب ليس في القلب وحده؛ بل لا بد أن يصدق العمل.

هلاً درسنا أحداث رسول الله ﷺ وأحاديثه، وما أتى به في مواجهة الناس من مشركين ومنافقين، ورأيناه وهو الرحمة المهداة، ورأيناه كيف تعامل مع المنافقين وهو يقول: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»^(١) وهو يعلم نفاقهم، وكيف أنه عامل المشركين!

فعندما جاءته (بنت حاتم الطائي)^(٢) كريم العرب يخلع برده الشريفة ويجلسها عليها، أرايتم كيف يعامل نبي الله المرأة في الأسر، ويقول: «خَلُّوا عَنْهَا، فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(٣) طمعت (بنت حاتم) في هذه الكلمة، وفي استقبال رسول الله لها ومن حبها في أبيها قالت: هو في الجنة يا رسول الله؟ قال: «هُوَ فِي النَّارِ؛ كَانَ

- (١) متفق عليه، أخرجه البخاري: ١٨٦١/٤، برقم (٤٦٢٢) ومسلم: ١٩٩٨/٤ برقم (٢٥٨٤).
- (٢) هي سَفَانَةُ بنت حاتم الطائي، أخت عدي بن حاتم، والسفانة في لغة العرب الجوهرة، وكانت امرأة جزلة ذات عقل وبيان، كانت سبياً في إسلام أخيها حين عودتها الشام، ووفده على رسول الله ﷺ، وقد أسلمت وحسن إسلامها رضي الله عنها وأرضاها. انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر: ٧٠١/٧، بتصرف.
- (٣) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: أخرجه الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول» بإسناد فيه ضعف.





يَفْعَلُ هَذَا لِسُمْعَةٍ يَتَسَمَّعُهَا»^(١) وهو يعلم أنه في النار يكرم ابنته لكرمه؛ لأنه يتعامل مع المعاني العالية، لم يواجهها ويقول لها: هو في النار اجلسي! كما يفعل بعض (الإخوة) المدعين!! يخلع عباءته الشريفة -وما أدراك ما عباءته الشريفة- ويُجْلِس عليها ابنة حاتم، عليك الصلاة والسلام يا سيدي يا رسول الله، ما هبت النسائم وناحت على الأيك الحمائم.

و(ابن جُدعان) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ. إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»^(٢) كان يطعم الحجيج في مكة وكأنه يقول: لو كان قالها يومًا! ولكنه لم يقلها، مات (ابن جدعان) كافرًا مشركًا، لكن النبي ﷺ مع علمه بكفره وشركه يعظم فيه الكرم ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩] ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاؤُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨] فكان منصفًا عادلاً ﷺ، أين هذه الأخلاق فينا؟ فُقدت! ماذا نصنع؟ نربي أبناءنا عليها، حتى وإن فاتتنا أو فتنها ندرِك أبناءنا في هذا، ونعلمهم الرحمة، ونعلمهم الخلق الحسن في أشياء رسول الله ﷺ، وفي الأشخاص الذين من حوله، وفي الأحداث التي مر بها، ومرت به.

نحبب الناس فيه، ونستخلص الخلق الحسن من كل ذلك. اقرأوا سيرة رسول الله، درّسوها أبناءكم، واحفظوا شأنه الكريم فينا، وأحيوا هذه المعاني في هذه الأوقات المباركة، وأكثرُوا ذكر الله، وأكثرُوا الصلاة على النبي

(١) لم أفف عليه.

(٢) رواه مسلم: ١٩٦/١، برقم (٢١٤).



المصطفى والحبیب المجتبی ﷺ؛ فكل الأبواب قد سدت إلا باب المصطفى
المجتبی إلى ربنا ﷻ.
ادعوا ربکم.



الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب
وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ عليه صلاة تليق به،
واجعله أسوة حسنة لنا في الدنيا، وشفيعًا لنا في الآخرة.

أيها المؤمنون، في هذا الشهر الأنور الأبرك أكثرنا من قراءة السيرة النبوية
الشريفة، خذوا منها كيف كان يفكر رسول الله ﷺ وبينني لكم التفكير
المستقيم، وكيف نظم الجماعة المسلمة والدولة المسلمة والأمة المسلمة،
وكيف بنى لنا الحياة في كلياتها وجزئياتها، خذوا عنه؛ فإنه المعصوم الذي
ارتضاه ربنا ﷻ مثالاً للعالمين.



خصائص النبي ﷺ وبعثته للعالمين

من أفكار الخطبة:

- ١- وفي الله ﷻ بوعده وعهده وأرسل خاتم رسله، فأظهر به كلامه، ويسر القرآن بلسانه.
- ٢- أبقي الله ﷻ عترته الكريمة وحفظ كتابه، ولا تزال طائفة على الحق حتى يأتي أمر الله.
- ٣- خطاب الله ﷻ لرسوله ﷺ بالرسالة والنبوة، رفع لشأنه في العالمين إلى يوم الدين.
- ٤- به ﷺ كملت النبوة والرسالة والإنسانية، وفيه تمت، وإليه انتهت عليه الصلاة والسلام.
- ٥- بظهوره ﷺ وختمه للرسالات كان علماً على جميعها، وآية على صدقها، ومهيماً عليها؛ فهو النبي، وهو الرسول ﷺ كما ناداه ربه جل في علاه.
- ٦- لكل إنسان سقف لا يتعداه، والنبي ﷺ يتقلب في شرف إلى شرف، وفي راق إلى أرقى.
- ٧- رفع الله شأنه؛ حتى أكرم الكافر مع كفره المقطوع به؛ كرامة نبيكم ﷺ عند ربكم ﷻ.



خصائص النبي ﷺ وبعثته للعالمين

أظننا شهر ربيع الأنور، وهو أول الربيعين؛ وسمي بالأنور لأن فيه ميلاد النبي المصطفى والحبيب المجتبي ﷺ، أشرقت أنواره في هذا الشهر العظيم، فأضاء ما بين المشرق إلى المغرب، إلى الكون كله، إلى يوم الدين.

وُلِدَ الْهُدَى فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ * وَفِي الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءٌ
مر شهر مولده في الشهور، وسرت أنواره على كر الأزمان والعصور، تملأ الكون ضياءً، وسناءً، وبهاءً، وهدى ورحمة نشرها الرحمن على العالمين.

في هذا الشهر العظيم فرّق الله بين الحق والباطل، ووفى الله بوعده وعهده على نفسه وأرسل خاتم رسله، فأظهر به كلامه، ويسر القرآن بلسانه، وبه ختم النبوة والرسالة وأتى بالعهد الأخير بين الله وبين البشر، وأرسله الله للناس كافة، وأرسله الله رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وجعله أكثر الناس تبعاً إلى يوم الدين، وأعلى ذكره في العالمين، كل يوم يذكر على المنائر بين المشرق والمغرب خمس مرات، وجعل شائته^(١) هو الأبر وقطع نسله فلا نعلم عنهم شيئاً.

وأبقى الله سبحانه وتعالى عترته الكريمة بيننا وفينا إلى يوم الدين، وحفظ الله سبحانه وتعالى له كتابه عن التحريف سواء في الشكل أو المضمون، عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ

(١) الشَّائِي: الْمُبْغِضُ، سَنَتُ الرَّجُلِ أَيِ أَبْغَضْتَهُ. انظر: «لسان العرب»: ١٠١/١.



حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»^(١)، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾
[الحجر: ٩]، قل صدق الله.

ربنا ﷺ خاطبه بما لم يخاطب به الأنبياء، خاطب الأنبياء فقال:
﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦] ولكن قال:
﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤] ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] ولم يناده باسمه مفردًا،
﴿يَا نَزَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [هود: ٧٦] ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩] ولكنه
رفع شأنه في العالمين فخاطبه بوظيفته عند ربه بالرسالة والنبوة، فبه كملت،
وفيه تمت، وإليه انتهت؛ فكان بظهوره علمًا على جميعها، وآية على صدقها،
ومهميًا عليها، فهو النبي، وهو الرسول ﷺ كما ناداه ربه جل في علاه.

وجمع له صفتين من صفاته ﷺ ولم يجعلها لنبي من قبله، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وهي من صفات ربنا بالمؤمنين، أنه هو الرؤوف الرحيم ﷺ،
وصف موسى فقال: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨]، ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]،
لكن لما وصف نبينا الكريم جمع له بين الصفتين، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا
مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَّا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] قالوا: الضمير (هو) يعود إلى النبي المصطفى والحبیب
المجتبى ﷺ.

رفع الله سبحانه وتعالى شأنه حتى أكرم الكافر مع كفره المقطوع به؛

(١) متفق عليه، البخاري: ٢٦٦٧/٦، برقم (٦٨٨١)، ومسلم: ١٥٢٣/٣، برقم (١٩٢١). واللفظ للبخاري.





لأنه فرح بمقدمه الشريف. أخرج البخاري أن أبا لهب -وتدرون من أبو لهب- عندما جاءته ثويبة -وكانت جارية له- تبشره بمقدم النبي ﷺ باعتبار أنه ابن أخ له، ففرح أبو لهب؛ فأعتقها، وهو لا يؤمن بنبي ولا يعرف رسالة؛ فإن الله يوم الإثنين وهو يوم الميلاد الشريف يخفف عن أبي لهب العذاب^(١)، ويجعله يمص بعض الماء مَصًّا؛ لفرحه بمقدم النبي ﷺ، فما بالك بالمؤمنين يفرحون بمقدمه ويحتفلون، ويعلمون أولادهم حب رسول الله ﷺ وهو ركن الإيمان؟! رسول الله ﷺ قدره عظيم.

وَكَيْفَ يَعْلَمُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ * قَوْمٌ نِيَامُ تَسَلُّوا عَنْهُ بِالْحُلُمِ
فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ * وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله وسلم تسليماً.

حتى إن الله لما أغرى به السفهاء؛ لينال المرتبة العليا عند ربه، أغرى به السفهاء إلى يوم الدين ولا يزالون يسبونهم ويشتمونهم ويأخذونهم بالأجر على ذلك مستمراً حتى بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى؛ إن لكل إنسان سقفاً لا يتعداه، ولكن ربنا ﷺ رفع السقف عن نبيه؛ فجعله يترقى في مراقبي العبودية والفضل والشرف إلى يوم الدين، إلى ما لا نهاية له في الشرف والمجد ﷺ، ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿الشرح: ٢-٣﴾ والنبي لا وزر له بمعنى الإثم، إنما بمعنى السقف الذي كان يمنعه من الترقى في الكمالات، فرفعه ربنا ﷺ؛ حتى لا يصطدم ظهره به، في أثناء علوه وصعوده في مراقبي العبودية؛ فالرسول ﷺ يتقلب في شرف إلى شرف إلى يوم القيامة، وهكذا يقول الناس: الفاتحة زيادة في شرف النبي ﷺ، فكل صلاة وكل دعاء وكل قراءة وثواب يذهب

(١) سبق تخريجه، ص: ٣٨.





إلى النبي ﷺ منه نصيب؛ لأنه دال على الخير؛ والدال على الخير كفاعله^(١).

أما نحن ففي هذا الشهر الكريم نجعله شهر أسوة حسنة برسول الله ﷺ، وذلك بأن نجعله نبأاً لنا، وأن نجعله أسوة لنا، وأن نتبعه، وأن نتدبر الكتاب الذي أتى لنا به من عند ربنا ﷻ.

لو اجتمع زعماء العرب في المدينة المنورة ووقفوا أمامه ﷺ؛ تنفيذاً لأمر ربهم ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] لو أنهم فعلوها ورأوا ماذا يفعل الله لهم، وكيف يستغفر رسولهم لهم، وكيف أن حياته خير لنا ووفاته خير لنا، تعرض عليه أعمالنا؛ فإن وجد خيراً حمد الله وإن وجد غير ذلك استغفر لنا^(٢)، لو علموا ذلك فأقاموها هناك يلتمسون من الله الرضا والمغفرة، وأن يرفع عنا أيدي الأمم، لألقى الله المهابة في صدور عدوهم، وألقى الألفة بين قلوبهم، ولوحد صفوفهم، ولأقامهم في الحق، ولساعدهم، ولجعلهم من أولياء الله الصالحين، وفتح عليهم فتوح المقربين، ولكن نقرأ القرآن ولا نستفيد به، لا حول ولا قوة إلا بالله، كنز من كنوز العرش، كنز من كنوز اللوح المحفوظ أذن الله لنا به؛ فهل نحن نجعله وراءنا ظهرياً؟!.

عباد الله، كان رسول الله ﷺ على الخلق الأتم؛ حتى قال ربنا ﷻ في شأنه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] وكان فعلاً موفقاً من ربه لأن يكون رحمة للعالمين، بدأ الله كتابه له ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ١] وهو كان كذلك تخلقاً.

(١) كما في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره. الترمذي: ٤١/٥، برقم (٢٦٧٠).

(٢) سبق تخريجه، ص: ١٦.





في يوم فتح مكة وهو يسير إليها، وانظر إلى سيد الخلق الذي فاق الملوك جلاله ومهابة في الدنيا والذي هو عند ربه أعلى من ذلك في الآخرة.

مَدَحْتُ الْمَالِكِينَ فَزِدْتُ قَدْرًا * وَحِينَ مَدَحْتُكَ اجْتَزْتُ السَّحَابَا
رسول الله ﷺ وهو مشغول بتدبير الدنيا، ومشغول بالشرع الشريف وإقامته في نفسه وفي أمته، وهو يسير بالجيش وجد كلبة تهر على أبنائها -أي تبول عليهم- من الخوف، فرعت الكلبة من هيئة جيش المسلمين وهم يسرون إلى فتح مكة، فنادى جعيل بن سراقة وأمره أن يقف عليها حارساً وديدباناً يصد الجيش عنها ويؤمن روعتها مع أولادها ^(١)، ويقف عندها حتى يمر الجيش كله! أرايتم ماذا يعلمنا رسول الله ﷺ؟! حيوان ضعيف! وهو عند جمهور الفقهاء نجس، والنبي ﷺ يعامله باعتباره مخلوقاً لله ﷻ، «فِي كُلِّ ذَاتٍ كَبِدٌ رَطْبَةٌ أَجْرٌ» ^(٢) رسول الله ﷺ سيد الخلق سيد الكونين، يقف ويشغل باله بكلبة تهر على أبنائها رحمة بها وتعليماً لنا.

أيها المؤمنون، عودوا إلى تعظيمه ﷺ في نفوسكم، وأقيموه نبراساً أمامكم حتى تصلوا إلى ربكم، وحتى ينظر الله إلينا نظر الرحمة، وحتى لا نجعله بيننا ونخاطبه فيما بيننا كخطاب بعضنا لبعض، أو ندعوه كدعاء بعضنا بعضاً؛ لئلا تحبط أعمالنا، ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ادعوا ربكم.

(١) انظر «مغازي ابن اسحاق»: ص (٨٠٤).

(٢) متفق عليه، البخاري: ٢٢٣٨/٥، برقم (٥٦٦٣). ومسلم: ١٧٦١/٤، برقم (٢٢٤٤).





الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن
والاه، على مر التاريخ عظم المسلمون كتاب الله؛ حتى إنهم اخترعوا له الخط
الذي بين حروفه مناسبة، وجعلوا الألف التي هي دالة على التوحيد ميزاناً
للخط، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا الفهم في دينه كما رزق سلفنا الصالح، وأن
يرزقنا حب نبيه كما رزق أصحابه، وأن يعيد للإسلام عزه، وأن ترتفع رايته،
وأن يرد المسلمين إلى حضارتهم بعد أن يردهم إلى دينهم ردًا جميلاً، توسلوا
إلى ربكم بأسمائه الحسنى، وبصفاته العلى أن يلحقنا بالصالحين على كمال
الإيمان، وعلى تمام الإسلام، وأن يوحد بين قلوب المؤمنين.

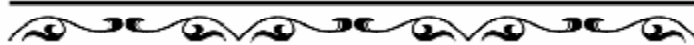


الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ



من أفكار الخطبة:

- ١- تأملات في مواطن ذكّره في التنزيل باسمه: «مُحَمَّدٌ».
- ٢- مُحَمَّدٌ ﷺ القضية العظمى: الألوهية والتوحيد.
- ٣- مُحَمَّدٌ ﷺ الرسالة وختم النبوة.
- ٤- مُحَمَّدٌ ﷺ قرآن يمشي على الأرض.
- ٥- مُحَمَّدٌ ﷺ خير أمة أخرجت للناس.
- ٦- مُحَمَّدٌ ﷺ أمة، تحمل قرآنًا؛ لتبليغ رسالة، تشتمل على قضية.
- ٧- كيف خاطب الله ﷻ نبيه في القرآن الكريم.





الحقيقة المحمدية

اسم النبي المصطفى والحبيب المجتبي (مُحَمَّدٌ) ﷺ قد ورد في القرآن صراحة أربع مرات، والمتأمل في مواطن ذكره ﷺ باسمه (مُحَمَّدٌ) يعلم شيئاً من حقيقته (الحقيقة المحمدية) التي أرادها الله ﷻ حقيقة لهذه الأكوان، رسالة إلى العالمين، إلى يوم الدين.

في الآية الأولى على ترتيب المصحف، وفي سورة آل عمران يقول ربنا ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] إذن فالقضية ليست قضية شخص، إنما هي قضية الألوهية والتوحيد، رسالة الباقي ﷻ، سيذهب محمد ﷺ؛ ليلقى الرفيق الأعلى عند ربه راضياً مرضياً، ورب محمد باق ﷻ، ورسالته باقية؛ فما حالكم؟! هل ذهبت بذهابه القضية أم إن القضية باقية؟! فالله ﷻ يقر لنا أن القضية باقية، وأنه ينبغي علينا أن لا ننقلب على أعقابنا كفاراً مرتدين وإلا ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤] إذن؛ فلا بد علينا أن نعلم أن محمداً ﷺ قضية، قضية العبودية لله وحده، وليس هو مجرد شخص قد ولد في يوم ومات في آخر! بل هو قضية، وآية آل عمران تنبهنا إلى الحقيقة.

وهناك في سورة الأحزاب يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، لم يكن ملكاً من ملوك الدنيا ينقضي ملكه بموته،



أو خليفة في الأرض، ولم يكن حاكمًا ولا قاضيًا فقط؛ بل كان رسول من عند رب العالمين، إلى العالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠] فمحمد ﷺ رسالة، وختم للنبوّة.

وانظر في سورة محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ۝ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ۝﴾ [محمد: ١-٢] انظروا في هذه ﴿بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝﴾ [٢] ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا أَبْطُلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ [محمد: ٢-٣].

فالقضية قضية قرآن، وكان خلقه القرآن^(١) وهو نور قد تلقى القرآن ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِّن رَّبِّ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] فإذا نظرنا إليه كان نورًا وسراجًا منيرًا، وإذا نظرنا إلى الألفاظ الباقية، إلى معجزة الرسالة كان كتابًا، وكان خلقه القرآن، كان قرآنًا يمشي على الأرض؛ يعلمنا بسنته كيف نطبق ذلك المطلق، الذي تجاوز الزمان والمكان، كيف نهتدي به في حياتنا اليومية مع أهلنا وأنفسنا وعشيرتنا، ومع الناس أجمعين: كافرهم ومؤمنهم. انظر وتدبر! سيدنا محمد ﷺ السيد الأجل قضية، سيدنا رسالة، سيدنا كتاب باقٍ إلى يوم الدين، سيدنا أمة ﷺ.

ففي نهاية سورة الفتح -يفتح الله علينا به ﷺ- يقول الله عز في علاه: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا

(١) سبق تخريجه، ص: ٢٥.





يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩] نور، نور يتلألأ في وجوه المسلمين، تراه خصوصًا في عصرنا هذا في كبار السن من النساء المؤمنات المسلمات، قارن بينهن وبين هاتيك النسوة في الغرب والشرق! تجد النور في وجوه المسلمين ينبئ عن صدق كتابهم، وعن حقيقة نبيهم ﷺ، بله^(١) وجوه العلماء والأولياء، والصالحين والمصلين، عبر القرون وإلى عصرنا هذا كما وصفهم ربنا ﷻ: ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْجٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩] فالنبي ﷺ أمة، تحمل قرآنًا، لتبليغ رسالة، تشتمل على قضية.

وَمَا غَايَةُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ * إِنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ * قَوْمٌ نِيَامُ تَسَلَّلُوا عَنْهُ بِالْحُلُمِ
صلی اللہ علیک یا سیدی یا رسول اللہ فی شہرک الأنور الأغر، صلی اللہ علیک وسلم بما جئت به من قضية؛ فلا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، اللهم أعنا على حمل الرسالة، واجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وجلاء همنا وحزننا، ووحد قلوب أمة محمد على الخير في الدنيا، واحشرهم تحت لوائه الأكرم الأعلى الأجل يوم القيامة، اللهم يا ربنا هذا حالنا لا يخفى عليك، وأمرنا كله بين يديك، أكرمنا كما أكرمتنا بذلك النبي بأن نعود إلى حظيرة قدسك، وأن تتعلق أفئدتنا

(١) بله: من أسماء الأفعال، تأتي بمعنى: أجل، وكيف، وتأتي أيضًا بمعنى «دع»، أو اترك، فتنبص ما بعدها: بله وجوه العلماء، أو تخفضه على اعتبارها مصدرًا: تركًا وجوه العلماء، والمقصود تركها في الذكر؛ فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر.





بعرشك، وأن تجعلنا يا ربنا من المقبولين، ولا تردنا بعد أن دعوناك خائبين.
ادعوا ربكم إنه سميع قريب مجيب الدعاء.



الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبينا الحبيب المصطفى ﷺ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وبعد:
فإن الله ﷻ أعلى ذكره؛ فلم يخاطبه باسمه مجردًا (يا محمد) هكذا أبدًا في
القرآن، وأمرنا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا
لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] ﴿لَا
تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْطُونَ مِنْكُمْ
لَوْ آذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]
فأمرنا ﷻ كما فعل في قرآنه؛ فناده وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٦٧] ﴿يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ﴾ [التوبة: ٧٣] ولم يقل: «يا محمد» ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٦٤]
﴿قِيلَ يَنْحُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾ [هود: ٤٨] ﴿يَا بَرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [هود: ٧٦]
﴿وَنَذَيْنَهُ أَن يَتَّبِعَهُمُ﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّبِّيَّ﴾ [الصافات: ١٠٤-١٠٥] ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ
هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩] ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ [يوسف: ٤٦] وهكذا لكنه
ما ناداه: يا محمد. أو: محمد؛ يربينا -وهو رب العالمين- أن نخاطبه بمكانه
الأجل الأعلى ﷻ؛ فهو خاتم النبيين، وما كان أحدًا من الأنبياء خاتمًا لهم إلا
سيدنا محمد ﷺ؛ ولذلك فهو قضية، وهو رسالة، وهو قرآن، وهو أمة تسعى
إلى ذكر الله، وإلى إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإصلاح في الأرض، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله.



رَسُولُ الْحِكْمَةِ ﷺ



من أفكار الخطبة:

- ١- فضل شهر رمضان على سائر الشهور.
- ٢- قيمة دم المسلم عند الله سبحانه وتعالى.
- ٣- النبي المصطفى ﷺ فخر للبشرية ورحمة للعالمين.
- ٤- مفهوم الجهاد في الإسلام.





رَسُولُ الْحِكْمَةِ ﷺ

وبعد: فإننا في شهر كريم، وفي نفحة ربانية إلهية صمدانية للمسلمين، في شهر القرآن، شهر الرحمن، في شهر يفرغ الله ﷻ فيه الإنسان لنفسه، ويسلسل الشياطين ويصبح الإنسان في اختبار مع نفسه؛ لأنها هي التي تأمره بالسوء وتعيد عليه الأمر، وهي التي تعكر عليه صفو العلاقة بينه وبين ربه، والشيطان في معزل الآن عن ذلك كله.

في شهر منحنا الله ﷻ فيه قديمًا وحديثًا النصر على المشركين والكافرين والظالمين، في شهر فتح الله علينا فتوح العارفين به ظاهرًا وباطنًا ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] في شهر نصوم نهاره ونقوم ليله، كل هذه فضائل وفواضل يجب أن تلتفت إليها، ويجب أن تستحضرها في ذهنك، وتعلم زمانك ومكانك، وعصرك وحالك، وتوجه كل ذلك في علاقتك مع ربك، وأنت تمد يدك إلى السماء تذكر الزمان والمكان، وتذكر تلك هذه النفحات، وأنت تمد يدك إلى السماء، تذكر أن الله يشير بذلك كله إلى أنه رحيم وأنه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] في هذا الشهر نصرنا الله على عدونا، وكسر شوكتهم؛ فأخرجناهم من حيث أخرجونا، ويزكرونا ذلك بالجهد، ويزكرونا ذلك بحال رسول الله ﷺ.

رسول الله ﷺ غزا غزوات، وأخرج بعوثًا وسرايا في نحو عشر سنين. أما وهو في مكة فقد كف يده عن المشركين بأمر الله له بذلك؛ لأن مكة



يختلط فيها المسلم والكافر، والنبي ينظر إلى الكعبة المشرفة المكرمة، ويقول لها: «مَا أَطْيَبَ وَأَطْيَبَ رِيحِكَ، مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكَ. مَالِهِ وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا»^(١) أتدرون ما الكعبة؟ أتدرون ما حرمتها عند الله؟ أتدرون مدى قداستها في قلوب المسلمين؟ أتدرون جرم الذي يعتدي عليها ويأخذ منها جزءاً من حجر؟ أتدرون من احتقرها في قلبه ماذا يكون جزاؤه عند الله؟ وعلى الرغم من ذلك يخاطبها رسول الله ﷺ ليبين لنا قيمة دم المسلم عند الله، ويقول لها - لأشرف بيت، لأول بيت وضع للناس - يقول لها: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكَ»، ودماء المسلمين تسيل في الأقصى، وفي الخليل بالعشرات ثم بالمئات، والمختشون هنا وهناك لا يعرفون ما الذي يحدث في الملاء، من اهتزاز عرش الرحمن سبحانه، لدم امرئ مسلم واحد يسيل على الأرض ظلماً وعدواناً.

جاهد رسول الله ﷺ في سبيل الله، وعددنا تلك الوقعات والوقاعات التي خرج فيها رسول ﷺ، والتي لم يخرج فيها -كلما وجدنا في كتاب أنه خرج في سرية أو غزوة أو لم يخرج، أو جرّد كتيبة أو تجريدة- عددناها فوجدنا رسول الله ﷺ قد صنع ذلك في اثنتين وثمانين واقعة، عبر العشر السنوات التي عاشها في المدينة، قالوا لنا: إذن فقد كان متعطشاً للدماء، وكان يخرج الناس بالسيف حتى يدخلوا في دين الله أفواجاً! وكذبوا، كذبوا؛ لجهلهم بالعرب، وكذبوا لجهلهم برسول الله، وكذبوا لجهلهم بالواقع.

ونظرنا في هذه الوقائع، فماذا وجدنا؟ وجدنا العجب العجيب؛ وجدنا أن

(١) أخرجه ابن ماجه: ١٢٩٧/٢، برقم (٣٩٣٢) قال البوصيري (١٦٤/٤): هذا إسناد فيه مقال، والطبراني في «الكبير»: ٣٧/١١ برقم (١٠٩٦٦)، وقال الهيثمي في «المجمع»: ٦٣٠/٣: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف وقد وثق.





نحو ستين منها لم يحدث فيها قتال، ستين من ثمانين لم يحدث فيها قتال! قد يكون حدث فيها في بعض الستين قتل، ولكنه لم يحدث فيها قتال، وفي نحو خمس منها كان المقتول هو المسلم، ولم يكن المقتول غير المسلم، وفي كلها من أولها إلى آخرها، فإن القتلى من المشركين كانوا سبعمائة واثنين وخمسين، ومن المسلمين مائتين واثنين وخمسين؛ فالمجموع يزيد على الألف شيئاً قليلاً من الطرفين، فإذا قسمنا الألف على ثمانين وقعة كان في كل واقعة أحد عشر شخصاً، وهل عندما يقتل عشرة أشخاص يرتعد الناس؟! أهل القتال والفتوة، أهل قطع الطريق والإغارة والإبادة، ينتقلون من دينهم إلى دين الله من أجل قتل عشرة! والله إن هذا لشيء مضحك لا يدركون فيه حال العرب وكيف كانت، وكيف كانوا يعيشون قبل الإسلام.

رسول الله ﷺ يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويقر الأمن في العالمين، ويعلم الناس كيف يعيشون لله من أجل قتل سبعمائة إنسان! ومحاكم التفتيش قتلت اثني عشر مليوناً من البشر يحولونهم من الإسلام إلى المسيحية، حتى من تحول قتلوه! والحرب الكونية التي أسموها بالعالمية -وهم الذين قتل بعضهم بعضاً فيها- كان نتائجها قتل أربعين مليون نسمة! ورسول الله ﷺ لما أن ضرب على أيدي الناس؛ حتى يخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الشرك إلى الإيمان، ومن الجاهلية إلى نور الإسلام، إلى حضارة الإنسان، إلى عبادة الرحمن، كان هو الذي يدعو إلى السيف! نعم السيف هو؛ فهو سيف الله، وليس هو سيف الشهوات والبلاء، وقلة الديانة وسوء الأخلاق! كان سيفاً يُقرُّ الحق.

نتجت هذه الحروب فأنتجت ستة آلاف وخمسمائة أسير، عفا رسول الله ﷺ عن ستة آلاف وثلاثمائة أسير! ولم يأسر ويستمر الأسر إلا على





ماتين! نعم، هو رحمة للعالمين، هو سيد ولد آدم، هو فخر البشرية، هو حبيب الرحمن، هو سيد نوع الإنسان، هو سيدنا رسول الله ﷺ؛ فصلى الله عليك يا حبيبي يا رسول الله، صلوا على النبي المصطفى والحبيب المجتبي، واجعلوه أمامكم مثلاً واتخذوه نبأً وأسوة حسنة؛ رسول الله ﷺ نور يتلأل في الأكوان إلى يوم الدين ولو كره الكافرون، رسول الله ﷺ هو الإنسان الكامل، رسول الله ﷺ يعلمنا كيف نكون نبلاء، وكيف نكون أتقياء، كيف نكون مسلمين على الحقيقة.

من جاهد رسول الله؟! جاهد العرب منهم: بنو سليم، ومنهم غطفان، ومنهم هوازن، ومنهم بنو تميم، وقريش... من هؤلاء؟ هؤلاء أولاد إلياس بن مضر كلهم قبيلة واحدة، لم يرفع السيف ﷺ على أحد من العرب من غير أولاد إلياس بن مضر، في ثمانين سرية وغزوة وتجريدة وكتيبة، وكذا إلى آخره، أغلبها كان لمتابعة قطاع الطريق وكان لرد عدوان، ولسرقة سرقوها، ولتأديب من يحتاج إلى التأديب، ولكنه لم يرفع السيف لا في هذه ولا في تلك إلا على أبناء عمومته الذين أخرجوه ومنعوه إبلاغ كلمة الله، فمن أكره؟! ومن أدخل دين الإسلام بسيف أو غيره؟! كانوا يأسرون الزعيم فيأتي رسول الله ﷺ لما يراه من خلقه العالي الكريم فتسلم قبيلته، لم يرفع رسول الله ﷺ السيف إلا على أولاد إلياس بن مضر، وكانوا يمثلون عائلة واحدة يجتمعون ضد أعدائهم إذا أحيط بهم، فكانه ينذر عشيرته الأقربين، فكانه ينذر أهله وناسه، وكانت تلك القبائل تقاتل بعضها بعضاً ليل نهار من أجل الدنيا؛ فجاءهم ليعلمهم أن يكفوا عن القتال للدنيا، وأن يقاتلوا في سبيل الله، وسمى هذا جهاداً.

و«الجهاد» أيها المسلمون ليست له كلمة مقابلة في لغات الغرب



ولا الشرق، الجهاد معناه قتال في سبيل الله يتوقف فيه المقاتل عند أوامر الله ونواهيه، وهذا المعنى لا وجود له في أذهان البشر؛ لأن بعضهم لا يعرف الله بالكلية، وبعضهم يعرفه بتحريف وتخريف من كتبهم التي قدسوها، وضلوا بضلالة علمائهم فيها، لا يدرك أحد من البشر إلا الحرب! إلا القتل! إلا القتال! لكنه لا يدرك «الجهاد»؛ تنبهوا لهذه المعاني ثم عودوا بنا إلى أرض القدس الشريف، وانظروا إلى رسول الله ﷺ في سيرته الجهادية، كان حكيماً مفاوضاً، يعلم متى يفعل، ومتى يسكت، ونحن ندعو الناس إلى تَلَكُم الحكمة التي كان علمناها رسول الله ﷺ.

ذهب إلى مكة يعتمر، فمنعه المشركون، وخرج إليه واحد في إثر واحد، حتى جاءه سهيل بن عمرو، ووافق النبي ﷺ فيما سمي بعد ذلك بصلح الحديبية، جلس سهيل بن عمرو^(١) - وأسلم بعد ذلك - وكتب مع رسول الله ﷺ معاهدة، فلم يرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبى أن يقبل هذه المفاوضة، ورأى حولاً وقوة له، لكن رسول الله ﷺ قبلها ورسول الله أحكم،

(١) سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري، خطيب قريش، كنيته أبو يزيد، قال البخاري: سكن مكة ثم المدينة، وكان من الطلقاء الذين عفا عنهم رسول الله ﷺ يوم الفتح حين دخل البيت ووضع يده على عضادتي الباب، فقال: ماذا تقولون؟ قال سهيل: نقول خيراً ونظن خيراً؛ أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت! فقال: أقول لكم كما قال أخي يوسف: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢]، وفي قصة إسلامه أنه قال لمن معه من الطلقاء حين نظر بعضهم لبعض، قال: على أنفسكم فاغضبوا! دعي القوم - يعني المهاجرين والأنصار - ودعيتهم، فأسرعوا وأبطأتم؛ فكيف بكم إذا دعيتم إلى أبواب الجنة، ثم خرج إلى الجهاد، وقال: والله لا أدع موقفاً وقفته مع المشركين، إلا وقفتم مع المسلمين مثله، ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت مع المسلمين مثله؛ لعل أمري أن يتلو بعضه بعضاً. ثم بقي مرابطاً بالشام حتى مات في طاعون عمواس سنة ١٨هـ، وقيل: قتل باليرموك. مختصراً وبتصرف يسير، من «الإصابة في تمييز الصحابة» - حرف السين: ٣٥٧٥.



عمر ينظر إلى جهة واحدة، ورسول الله ﷺ يعلمنا أن ننظر إلى الجهات كلها.

قال عمر: قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ: «بَلَى». قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟! قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَغْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي». قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتُ تُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَتُطَوَّفُ بِهِ؟! قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَا تَأْتِيهِ الْعَامُ؟». قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوَّفٌ بِهِ». قَالَ: فَاتَّيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا؟! قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟! قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟! قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِعَزْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ. قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنُطَوَّفُ بِهِ؟! قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوَّفٌ بِهِ^(١).

ماذا كان موقف المسلمين في المدينة؟ كان في الشمال يهود خيبر، وكان في الجنوب كفار مكة، وقد قرروا فيما تمالأوا عليه وبيتوه أن يطبقوا على المدينة من الشمال ومن الجنوب، وأن يقضوا على دعوة الإسلام، وهذه هي التي تسمى في يومنا هذا بـ «الكماشة»؛ حركة (الكماشة) أن يأتي من الشمال ومن الجنوب؛ فتضرب القوات وتتوزع وتتشتت، ويضيع من كان في الوسط. أراد رسول الله ﷺ أن يفك الحصار، ففكه فنزل يعتمر، وهو يعلم أن المشركين بجهلهم سيمنعونه، وأنشأ معهم معاهدة أن لا يتعرضوا له ولا يتعرض لهم؛ فحيدهم، ولما خرج إلى المدينة ذهب من فوره إلى خيبر فحررها من اليهود الذين تمالأوا المشركين عليه ﷺ، ولما انتهى من خيبر، وهو يعلم أن الجاهل جاهل، وأن الغبي غبي، وأن الكفر يطلسم على القلوب

(١) أخرجه البخاري: ٩٧٤/٢، برقم (٢٥٨١).





-كما طلسم على قلوب كثير منهم، ويغشي العيون كما أغشى عيونهم الآن، وهم لا يرون النار تحت الهشيم ستأكلهم وتدمرهم إن شاء رب العالمين- يعلم رسول الله ﷺ هذا؛ فوقع المشركون في نقض المعاهدة، فيرفض الصلح ويفتح مكة... مفاوضات، وحكمة، وينبغي علينا في القدس أن نفعل ذلك.

إذن؛ فالذي نحتاجه هو الإخلاص لله والله يوفقنا، وينور قلوبنا وينير أبصرتنا في طريقنا مع العدو، فنحقق النصر إذا صلحت النيات، وإذا توجهت القلوب إلى ربها، وإذا لهج اللسان بذكره ﷻ، نستعمل عقولنا وعلومنا، نستعمل حكمتنا وسنة نبينا في حياتنا؛ فهل من مستجيب؟! اللهم وفقهم يا رب العالمين، وأنر بصائرهم.

سنة رسول الله ﷺ كنز لا يفنى، فيها الحكمة، وتحتاج إلى الدرس والتدبر، لقد قلت لكم في الجمعة الماضية عليكم بكتاب الله في هذا الشهر العظيم، وكان علمائنا يقرأون السيرة في شهر رمضان، وذلك أنهم كانوا لا يفرقون بين القرآن وبين النبي، فالنبي ﷺ قرآن يمشي على الأرض، وحياة النبي ﷺ ترجمة للقرآن، وهو سر الأكوان، وهو غاية خلق الإنسان، التوحيد، عبادة رب العالمين، الإيمان بالتكليف والالتزام، الإيمان بيوم آخر نعود فيه إلى ربنا ﷻ للثواب أو العقاب، هذه هي الحقيقة المحمدية، هذه هي الحقيقة القرآنية، فتنبهوا واعلموا أن التطبيق المعسول لكتاب الله هو رسول الله ﷺ، الذي عصمه ربه ﷻ واصطفاه واختاره وأعلى مرتبته، فاللهم يا ربنا تقبل منا صيامنا وقيامنا وذكرنا وتلاوتنا يا أرحم الراحمين، ووفقنا لدرس سنة نبيك، ووفقنا لقراءة كتابك، وفقنا لعمل الصالح الذي ترضى، ثم استجب دعاءنا.

ادعوا ربكم





الحمد لله حمد الشاكرين له، الواقفين ببابه حتى يرضى ويفتح علينا فتوح العارفين به، ويستجيب دعاءنا، أشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، ونبيه وحييه؛ اللهم صلّ وسلم عليه كما صليت وسلمت على إبراهيم، تسليماً كثيراً يا أرحم الراحمين، وجازه عنا خير ما جازيت نبياً عن أمته، واحشرنا تحت لوائه يا رب، وافتح علينا به، وأكرمنا باتباع سنته، وثبت حبه في قلوبنا.

أيها المسلمون -على العهد- لا تنسوا أن تدعوا للقدس الشريف عند إفطاركم في كل يوم، ومن نسي فليفعل إذا ما تذكر، علموا أولادكم، واجمعوهم، واجعلوهم يمدوا أيديهم إلى السماء؛ لعل الله أن يستجيب دعاءهم، أكثر مما يستجيب لنا وقد بارزناه بالمعصية.



رَسُولُ الثَّبَاتِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من أفكار الخطبة:

- ١- الثبات معنى عظيم من معانٍ غير منحصرة علّمنا إيّاها رسول الله ﷺ.
- ٢- ميثاق الثبات: وضوح في العقيدة، والرؤية، والتشريع، والهدف، وفي المال.
- ٣- التثبيت لا يكون إلا بتوفيق من الله ﷻ ذي الفضل العظيم.
- ٤- المؤمن الثابت يرى الدنيا موصولة بالآخرة، وهي مزرعة لها، ومعبر إليها.
- ٥- على المؤمنين في كل مكان أن يقفوا موقف الجسد الواحد، الأمة الواحدة.
- ٦- (لا إله إلا الله محمد رسول الله): هي القول الثابت، وهي كلمة الثبات في الحياة الدنيا وفي الآخرة.



رَسُولُ الثَّبَاتِ ﷺ

فقد علمنا سيدنا رسول الله ﷺ الثبات في حياتنا الدنيا، علمنا إياه بقاله وحاله في مكة والمدينة، تعرفه أيها المؤمن لو قرأت سيرته العطرة، وعشت معه ﷺ في المواقف كلها، كيف كان يعامل الأشياء؟ وكيف كان يعامل الأشخاص؟ وكيف كان يواجه الأحداث؟ كيف كان يقرر حياته وحياة من حوله؟! تعرفه أيها المؤمن إذا عشت مع رسول الله ﷺ، وهذا المعنى من معاني كثيرة غير منحصرة، نتعلمها من سيدنا رسول الله ﷺ.

هذا المعنى هو الثبات.

والثبات كان صفة لنبينا المصطفى، والحبيب المجتبي ﷺ، والثبات معناه أن لديه أموراً معينة لا يتنازل عنها أبداً، وكما يقول أهل السياسة في عصرنا: هناك خطوط حمراء لا يتجاوزها، يعبر عنها القرآن الكريم فيقول: ﴿وَدُّوا أَنْ يُدْهِنُ فَيْدَهُنَّ﴾ [القلم: ٩] هيا بنا إلى الحلول الوسط: نعبد إلهاً في الأرض وإلهاً في السماء؛ فنكون قد حققنا لك يا محمد مرادك من التوحيد! ولنجعل رب السماء إله الآلهة، ورب الكل، ولا تحرمنا من عبادة إله في الأرض، هذا عرض في المفاوضات!! مفاوضات على أمور ليست محللاً للتفاوض.

هناك وضوح في العقيدة، ووضوح في الرؤية، ووضوح في التشريع، ووضوح في الهدف، ووضوح في المال تجعل الإنسان ثابتاً على خطوته الحمراء التي يتكلمون عنها، أو بمعنى آخر تجعل الإنسان المسلم ثابتاً على عقيدته وشريعته.





هذا الثبات أمرنا به ربنا ﷻ، حينما سَخِرَ من أولئك الذين يبحثون عن حلول وسط نتهاون نحن فيها في عقائدنا ومواقفنا، وكل تهاون منا إنما هو فوز للخصم والعدو، وضياغ للدين، ودعوة إلى شيء مجهول الشكل خرافي التصور والواقع لا نعرف قبيله من دبيره، ودين الله أعلى وأبر من ذلك كله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] هذا هو ميثاق الثبات.

ينبغي عليك أن تدرك كقاعدة ونهاية، أن الله يفعل ما يشاء، فختم بها الآية ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ في بدايات العقيدة ونهاياتها، يُدَرِّسُ المسلمون أنه لا يكون في كون الله إلا ما أراد، وأن الله ﷻ قاهر على عبده وعلى كونه، وأنه يخلق ما يشاء ويختار، وأنه يفعل ﷻ ما يشاء، وأنه يخلق الخير والشر جميعاً، وأنه يخلقكم وما تعملون، وأنه ﷻ إليه المآل، وأن هناك يوماً آخر نرجع فيه إلى ربنا للحساب، للعقاب والثواب، وأنا إليه نرجع، وأنه: لا حول ولا قوة -فعلاً وحقيقة- إلا بالله، وأنا لله ومن الله وإليه راجعون.

هذه عقيدة أساس في قلب كل مؤمن لا تُمس، ولا ينبغي أن تكون موضع فصال ومفاوضة، ينبغي أن ينطلق منها المسلم، ويثبت على عقيدته، وعلى دينه، وعلى مواقفه كلها مع الأشياء والأشخاص والأحداث والأفكار.

عقيدة أساس، يُثَبِّتُ فيها المؤمن بتثبيت الله له؛ فهو لا يرى لنفسه حولاً ولا قوة، ولا طولاً ولا مقدرة؛ إنما يلجأ إلى الله، ويستأذن الله، ويطلب المدد من الله، المخلوق لا شيء في هذه الحياة الدنيا؛ إلا أنه مكلف من الله ﷻ برسالة يثبتها، وبقضية يحملها ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] والقول الثابت هو (لا إله إلا الله) بحقائقها ومعانيها وتجلياتها (محمد رسول الله) بما تضمنته من عقيدة وتشريع، تجعل المسلم صاحب رسالة في هذه الحياة الدنيا، لا يتخلى عنها ولو كره الكافرون.





نعم ربنا ﷺ يأمرنا بالثبات ويعلمنا الثبات، ورسول الله ﷺ كان مثلاً صالحاً في الفترة المكية والمدنية لهذا الثبات، كل هذا في الحياة الدنيا. أما ثباتنا في الآخرة فبـ (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

(لا إله إلا الله): التي سوف تميزنا من أمم الشرك والوثنية والإلحاد.

(محمد رسول الله): نأمل ونرجو أن يدخلنا الله في شفاعته ﷺ؛ فيخفف عن العالمين يوماً طويلاً أرادَه الله، وأراد ألا يخفف عن العالمين إلا بمحمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] حتى يعلم كل من خلقه الله إنساناً عاوياً في الدنيا- أن محمداً ﷺ قدمه على رقبته يوم القيامة، وأن محمداً قد أعلی الله ذكره في الدنيا، وأن محمداً ﷺ قد أعلی الله شأنه في الآخرة؛ ليعلم أن النبي المصطفى والحبيب المجتبی ﷺ صاحب فضل عليه وعلى البشرية جميعاً؛ ليعلم ذلك كل إنسان خاطبه الله برفق وقال لهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [فاطر: ١٥] وقال لهم: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ﴾ [يس: ٦٠] ولكنهم لا يسمعون ﴿إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] ليعلم كل أحد منهم ذلك؛ إن لم يعلمه في الدنيا فسيعلمه في الآخرة.

والمؤمن بثباته على دينه، ولأنه ثابت على دينه، يرى الدنيا موصولة بالآخرة، ويرى الدنيا مزرعة للآخرة، ويعلم أن خلف الموت حياة؛ بل هي الحيوان لو كنتم تعلمون، يعلم علم اليقين أن هناك جنة وأن هناك ناراً، يعلم علم اليقين أن هناك إلهاً، يعلم علم اليقين؛ ولذلك هو ثابت في هذه الحياة الدنيا، وثابت في الآخرة.

رسولنا الكريم في مكة -على حين قلة المؤمنين، وتكذيب الكافرين،





واشتداد الأمر من كل ناحية - يروي خباب رضي الله عنه فيقول: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟! فَقَعَدَ وَهُوَ مُحَمَّرٌ وَجْهَهُ، فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَيْمَشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَضْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ، مَا يَضْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيَتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ» رواه البخاري^(١)، وفي صحيح ابن حبان، ومسند أحمد: «حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخْشَى إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ»^(٢).

سيتشر الإسلام والإيمان، حتى يعم ربوع البلاد، يتكلم عن ثبات؛ لأنه يرى المستقبل وكأنه قد تحقق؛ لأنه يؤمن بعتاء الله ﷻ، وما وعده الله به ﴿وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] يعْذُهُ في يده، هذا هو الثبات، وهذا هو سببه، يمسك بالثبات؛ لأنه يمسك برؤية واضحة، وعقيدة جلية، وقضية لا تتزعزع في قلبه.

الآخر في دور التعليم، يحاول أن يبحث عن حلول عاجلة، ولكن النبي ﷺ؛ لأنه يدرك الهدف، ويعلم المآل، ويفهم القضية على وجهها بتعليم الله له ﷺ كان ثابتاً؛ وعلم أمته من بعده الثبات.

يقول عدي بن حاتم: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرٌ، فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ. فَقَالَ: «يَا عَدِي هَلْ رَأَيْتَ الْحَيْرَةَ». قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنبِئْتُ عَنْهَا. قَالَ: «إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرِيَنَّ الظَّعِينَةَ تَزْحَلُ مِنْ

(١) أخرجه برقم: ١٣٩٨/٣، (٣٦٣٩) في مناقب الأنصار، عن خباب بن الارت رضي الله عنه.

(٢) اللفظ كما في صحيح ابن حبان: ٩١/١٥، ورواه أحمد بنحوه: ١٠٩/٥، برقم (٢١٠٩٥).





الحيرة، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ» - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيُّ دُعَا رُطِييِّ الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ؟! «وَلَيْنَ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى». قُلْتُ: كِسْرَى بِنِ هُزْمَزٍ؟! قَالَ: «كِسْرَى بِنِ هُزْمَزٍ، وَلَيْنَ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيْنَ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ».

قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَجِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بِنِ هُزْمَزٍ، وَلَيْنَ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ»^(١).

يذهب إلى الطائف فيكذِّبه المكذبون ويؤذيه السفهاء، لكنه يثبت، ويدعو ربه بهذا الدعاء الذي يقول فيه: «إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي»^(٢) انظروا إلى الثبات، إنه يفرق بين العذاب والابتلاء؛ فالابتلاء يكون للمؤمنين، وأخبرنا النبي ﷺ أن «أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا مَثْلَ»^(٣) والعذاب يكون على الكافرين.

ونحن -والحمد لله رب العالمين- لنا عقيدة واضحة، ولنا نظرة واضحة في مآلنا، وأهدافنا. نرجو من الله أن يثبتنا في هذه الحياة الدنيا بالقول الثابت، ثم يثبتنا في الآخرة بالقول الثابت.

أيها المسلمون، نرى كثيرًا ممن تسموا بأسماء المسلمين، ولم يدركوا الإسلام ولم يعرفوه -ونحتاج إلى دعوة في المسلمين كما نحتاج إلى دعوة

(١) أخرجه البخاري: ١٣١٦/٣، برقم (٣٤٠٠).

(٢) أخرجه ابن عدي: ١١١/٦، وابن عساكر: ١٥٢/٤٩ قال الهيثمي في «المجمع» (٣٧/٦): رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقيّة رجاله ثقات.

(٣) أخرجه الترمذي: ٦٠١/٤، برقم (٢٣٩٨) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: ١٣٣٤/٢.





في العالمين - يتعدون الخطوط الحمراء عند المواقف، ولا يثبتون كما علمهم رسول الله ﷺ، كما ثبت في أحد، وكما ثبت في الخندق، وكما ثبت مع خيانة بني قريظة، يتعدون الخطوط الحمراء؛ ليناقدوا مرة أخرى في أصول دينهم وإسلامهم، والأمر لا يحتاج إلى هذا ولا يتحمل هذا، وينبغي على المؤمنين في كل مكان أن يقفوا موقف الأمة الواحدة؛ الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى^(١) «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(٢) نحن أمة واحدة، ومن اعتدى على نفر منّا في مشارق الأرض ومغاربها؛ فقد اعتدى على الأمة كلها، والنبي ﷺ ينظر إلى الكعبة المشرفة، وهي أقدس مكان، وهي أول بيت وضع للناس فيقول لها: «مَا أَطْيَبَ رِيحِكَ، مَا أَعْظَمَ رِيحَكَ، مَا أَكْبَرُ حُزْمَتِكَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُزْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ حُزْمَةً مِنْكَ، مَا لَهُ وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا»^(٣) أبعد هذا لا تثار القلوب، ولا تتوجع الأرواح والنفوس لقتل مسلم ولو كان واحداً؟! لو عرف المسلمون ذلك؛ فإنهم لا يقبلون الإغارة على قتل مسلم؛ فالنبي ﷺ حذر من قتل المسلمين وقال: «مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُسْلِمٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ عَلَى جَبْهَتِهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»^(٤) مشيراً إلى مسلم آخر: «اق...» أي: اقتل! هذا هو ديننا.

- (١) أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاخُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى غَضُوهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» أخرجه البخاري: ٢٢٣٨/٥، برقم (٥٦٦٥)، ومسلم: ١٩٩٩/٤، برقم (٢٥٨٦).
- (٢) متفق عليه، أخرجه البخاري: ٨٦٣/٢، برقم (٢٣١٤)، ومسلم: ١٩٩٩/٤، برقم (٢٥٨٥).
- (٣) سبق تخريجه، ص: ٩٤.
- (٤) أخرجه أبو يعلى: ٣٠٦/١٠، والبيهقي في السنن الكبرى: ٢٢/٨، برقم (١٥٦٤٣).





لو عرف العالمون هذا ما استطاعوا أن يتعرضوا لقتل بريء من الأبرياء، ولعرفوا أن المسلمين لا يتركون دماءهم هدرًا، وأن أحدًا منهم لو مات في مشارق الأرض ومغاربها، ينبغي على الأمة كلها أن تثور، هذه هي العزة وهذه هي الكرامة التي لو كانت قد ملأت القلوب ما حصل ما حصل في صبرا وشاتيلا، وما حصل ما حصل في البوسنة والهرسك، وما حصل ما حصل في كشمير، وعند عبّاد البقر في الهند، وما حصل ما حصل في الفلبين، وما حصل ما حصل في كل هذه المواطن الإسلامية، التي يسمي أهل الغرب الدفاع عن النفس فيها إرهابًا!

أيها المسلمون، هناك عقيدة، وهناك قول ثابت؛ لتثبيتكم في هذه الحياة الدنيا بالقول الثابت، وكذلك في الآخرة.
ادعوا ربكم.



أيها المؤمنون، نحن في عصر لا يحتمل التردد، وديننا هو الكلمة الأخيرة التي أَرادها الله للعالمين، والنبى ﷺ يقول: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»^(١) وأشار إلى الوسطى والتي تلي الإبهام، من يده الشريفة ﷺ.

والساعة قد قربت لما امتلأ في الأرض من فتن، والنبى ﷺ أخبرنا في الروايات الصحيحة الصريحة المنقولة عنه ﷺ بأشياء كثيرة منها، قد وقع جلها، وبعضها لم يقع، و«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»^(٢) وأخبرنا عن مجاهدين يجاهدون في سبيل الله، فيُقتلون

(١) أخرجه البخاري: ٢٣٨٥/٥، برقم (٦١٣٩)، ومسلم: ٢٢٦٨/٤، برقم (٢٩٥١).

(٢) سبق تخريجه، ص: ٨٠.





فيكونون خير شهداء شهدتهم الأرض، ومن حرب بين المسلمين وغيرهم، ومن خيانة بين بني الأصفر والمسلمين^(١)، ومن أمور كثيرة أخبر بها المصطفى الصادق ﷺ؛ ينبها إلى الثبات، وينبها إلى الجهاد، وينبها إلى أن هذه الحياة الدنيا ليست هي النهاية، وأن هناك يوماً آخر نعود فيه إلى ربنا ﷻ، أن هذه الحياة الدنيا مزرعة للآخرة، وأنها معبر لحياة أبدية نرجو الله أن يقبلنا فيها عنده، وأن يدخلنا الجنة، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم.

نحن لا نريد دنيا نحصلها، ولا نريد طغياناً في الأرض، إنما نريد طاعة الله ﷻ على ما أراد، نمضي سويّاً فيما أخبر عنه رسول الله ﷺ ونرى فيه العجب العجاب، وفيه من دلائل النبوة ما فيه، وفيه صدق المصطفى ﷺ ما فيه، وفيه من تثبيت قلوب المؤمنين ومن إعدادهم للمواقف القادمة ما فيه، أخبر سيدنا رسول الله ﷺ من أحوال آخر الزمان وقرب الساعة، التي لا نعرف متى تأتي ولكن لاح أشراطها، وجاءت علاماتها، وأصبحنا في زمان نكد باطن الأرض خير لنا من ظاهرها، واشتدت الفتن على المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



(١) أخرج البخاري وغيره عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من آدم فقال: «اغذذوا بين يدي الساعة، موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كفعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقَى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هذنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدزون، فيأثونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً».



الرَّسُولُ الْبَشَّارَةُ



من أفكار الخطبة:

- ١- كل رسول جاء بشّر بالنبي ﷺ.
- ٢- بيان تبشير الأنبياء بالنبي ﷺ الخاتم من القرآن.
- ٣- بيان أن النبي ﷺ ذكر في التوراة والإنجيل.
- ٤- التوبة والرجوع والخبوت إلى الله تجعلك تترقى في مراقبي العبودية.





الرَّسُولُ الْبَشَارَةُ ﷺ

وبعد: فيا أيها المؤمنون أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، أرسله هدى ورحمة للعالمين، أرسله خاتماً للنبيين، أرسله ﷺ وجعل فيه الأسوة الحسنة، وأمرنا أن نتبعه وأمر العالمين، وكل رسول جاء بشر بالنبى المصطفى والحبیب المجتبى ﷺ^(١)، وما ضلال العالم بأسره إلا بإنكار نبوة النبى ﷺ، أنكروا نبوته وأنكروه؛ فكانت الحروب، وكان الصدام وأريق الدم بغير وجه حق، وكفر الناس وأفسدوا في الأرض فساداً عريضاً، أنكروه وهو مكتوب عندهم في التوراة وفي الإنجيل، وما جاء رسول قط إلا أمر أتباعه أنه إذا ظهر النبى ﷺ لا بد أن يؤمنوا به، ويشهدوا له، فإن لم يفعلوا ذلك؛ فقد عصوا نبيهم ورسولهم الذي أرسل إليهم من قبل.

أما في القرآن فهذا أمر واضح لا جدال فيه؛ يقول ربنا ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] فأمر الله ﷻ كل رسول إذا ما جاءه النبى ﷺ في حياته أن يؤمن به، وأن يعززه، وأن ينصره، وأن يتبع النور الذي أنزل معه، فإذا كان ذلك بعد وفاته فإنه يأمر أتباعه باتباع النبى المصطفى والحبیب المجتبى، إذا ما ظهر فيهم؛ فهو الذي جعل الله ﷻ كلامه ﷻ في فمه، وهو الذي

(١) أخرج ابن جرير عن علي بن أبي طالب، قال: «لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا -آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ- إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ: لَنْ يُبْعَثَ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ، وَيَأْمُرُهُ فَيَأْخُذَ الْعَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ». انظر: «جامع البيان»: ٥٥٥/٦.



رضي الله عنه واصطفاه واجتبه، وختم به النبيين والمرسلين، كل نبي كان ينتظر النبي ﷺ؛ باعتباره التمام والكمال، وثبه أتباعه على ذلك.

يقول ربنا ﷺ في شأن مَنْ مَنَّ الله عليهم من أتباع المرسلين باتباع نبينا ﷺ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ذَلَّلْنَاهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ يَرْجُوا الْوَعْدَ وَالْأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] والنبي ﷺ أنكره من عاصروه، وأنزل الله فيهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٦-١٤٧].

بشّر به عيسى، وأخبر عنه ربه فقال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] كل ذلك كان، ثم جئنا في هذا العصر فسأل السائلون: أين هذا في كتب أهل الكتاب؟ وتصدّر لهذا كثير من علماء المسلمين، رجل في الهند كان يسمى (رحمة الله الهندي)، جادل المبشرين، وألف كتاباً في هذا الشأن أسماه (إظهار الحق)، وهو كتاب بين أيدينا يورد فيه الآيات التي في التوراة والإنجيل الذي بين أيدينا الآن، والتي تبشر بالنبي ﷺ، وتقرّ بنبوته، ومنها هذا الذي بشّر الله به موسى في توراته، أنه خاطب إسحاق، وبشّره بنبي يأتي من وسط إخوته، يجعل الله ﷻ كلامه في فمه، ومعروف أن إسماعيل جد النبي ﷺ هو أخو إسحاق.

الذي يقرأ التوراة والإنجيل بنفس محايدة يجد الآيات الكثيرات، والذي يقرأها بعين تنكر النبي ﷺ يحرف ويخرف. في (إنجيل يوحنا)، وفي (الإصحاح السادس عشر) وفي الآية الرابعة عشر: يتكلم فيها السيد المسيح





عن «البارقليط»، وأصلها اليوناني «بيركلوتوس» بمعنى محمد أو أحمد، ويقر أحدهم فيقول: «إن لفظ بارقليط إذا حَرَفَ نطقه قليلاً يصير: بيركليت، ومعناه: الحمد أو الشكر، وهو قريب من لفظ أحمد». ولما سأل الدكتور عبد الوهاب النجار الدكتور كارلو نيلنو -الحاصل على الدكتوراه في آداب اليهود اليونانية القديمة- عن معنى كلمة «بيركلوتس»؛ فيقول: «الذي له حمد كثير»؛ فبنطق صوتي خفيف بين البارقليط و«البيراقليط» (وهي كلمة تعني أحمد، أو محمد)، فإذا ما حُرِفَت في النطق صارت «بارقليط» حتى تكون بمعنى المعزي المؤيد المساند، ويحيلها النصارى على روح القدس؛ حتى يهربوا من الإيمان بالنبي ﷺ، بينما يقرون أنها بنطق صوتي خفيف بين البارقليط والبيراقليط تدل على وجود النبي أحمد، وعلى أن المسيح قد نطق باسمه هكذا، ومما يؤكد خطأ الترجمة أن اللفظة اليونانية (بيركلوتس) اسم لا صفة، فقد كان من عادة اليونانيين زيادة السين في آخر الأسماء، وهو ما لا يصنعونه في الصفات. والاشتقاق اللغوي يؤيد ذلك ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

وينبري رجل يسمى (عبد الأحد داود)؛ ليؤلف كتاباً يثبت ورود النبي ﷺ في كثير من آيات الكتاب المقدس، ويطلع الكتاب بالعربية والإنجليزية يسمى (محمد في الكتاب المقدس)، ويخرج النجاشي ليؤلف كتاباً في جزأين: (الهدى إلى دين المصطفى) ويبين فيه بما لا يدع مجالاً للشك أن النبي ﷺ هو المقصود بتلك النبوءات التي وردت في الكتاب المقدس.

وينبري أحد المعاصرين الشيخ أحمد حجازي السقا فيأخذ الدكتوراه في (بشارة النبي في الكتاب المقدس) ويطلع كتابه في مجلدين، ويسلم أحدهم بشرى زكاري ميخائيل ويؤلف (محمد رسول الله: هكذا نطقت الأناجيل)، ويأتي بعشر بشرى في التوراة والإنجيل على النبي المصطفى والحبیب المجتبی، ولا يزال الناس عبر القرون يهديهم ربهم ﷺ بإيمانهم، ويصدقون النبي ﷺ،





ويظل جمهور الناس يكفرون به، ويجحدونه ولا يعترفون به. وتحدث هذه البلايا والمحن والصدام، ونحن ندعوهم إلى الخير وهم يدعوننا إلى الحرب، ونحن ندعوهم إلى السلام وإلى الحق وإلى الحقيقة، وإلى الإيمان بما أنزل الله، وبشّر به الرسل، وإلى تلك الآيات التي رغم التحريف والتخريف والتلاعب بكل أنواع التلاعب في الترجمات؛ بقيت ناصعة ظاهرة في الكتاب المقدس، ندعوهم أن يؤمنوا بالنبي ﷺ كما أمرهم به ربهم، وهم لا يريدون، ولكننا أمرنا أن نجادلهم بالتي هي أحسن، وأن نصبر عليهم كما صبر عليهم رسول الله ﷺ، واستضافهم في المسجد، وأكرمهم، وعایشهم في المجتمعات الإسلامية، وقبل تعددهم فيها، لا بد علينا من الصبر، وإن كان الصبر مرًا ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] محمد رسول الله، وخاتم النبيين، وحيب رب العالمين. حقيقة لا بد أن تصل إلى قلوب الناس من أقرب طريق، بلّغوا عن ربكم من وراءكم أن محمدًا هو رسول الله؛ فهذا هو بيت القصيد بيننا وبين غيرنا من أهل الكتاب.

ذكرنا أن الذي بيننا وبين العلمانيين والماديين هو الوحي؛ لأنهم لا يؤمنون برسالة نبينا، والذي بيننا وبين أهل الكتاب هو نبوة النبي المصطفى، والحيب المجتبي ﷺ، فاللهم اهد عصرنا وأهله، واهد بنا يا أرحم الراحمين، واجعلنا هداة مهديين، واكتب الهداية على أيدينا وفي ألسنتنا، إنك سميع قريب مجيب الدعاء. وادعوا ربكم.



الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده، وأعز جنده





وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، ونبيه وصفيه وحببيه، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين، صلى الله عليك وسلم يا سيدي يا رسول الله، ما هبت النسائم، وناحت على الأيك الحمائم.

أما بعد: فيا عباد الله، إن الله ﷻ خلقكم في هذا العصر، وجعل أجر العامل منكم كأجر خمسين من الصحابة^(١)، ولكن لم يجعل لكم عوناً على الخير، كما جعل عوناً على الخير لهؤلاء الكرام الأفاضل الأبرار؛ فاصبروا واعتبروها منحة بدلاً من أن تعدوا الزمان الذي نعيش فيه محنة؛ فمن فضل الله علينا أن أعطانا هذه الفرصة لنصبر ونحتسب، ونستمر في الإيمان بالله ورسوله، ونلتزم بما أمرنا به الله ﷻ، من حسن الخلق وهدوء النفس، والتوكل على الله، والخبوت له ﷻ، وذكره ذكراً كثيراً، والدعاء والالتجاء إليه؛ فإنه لا منجى منه إلا إليه.

علق قلبك بالله ترى الحق في كل شيء، علق قلبك بالله، وكن على ذكر دائم له ولو بذكر اللسان؛ حتى يترقى ذكر اللسان إلى ذكر القلب، وحتى يترقى ذكر القلب إلى ذكر الروح، وحتى يترقى ذكر الروح إلى ذكر الخفي، ثم الأخفى، وإلى السر الذي جعله الله بين جنبيك؛ فتترقى بتلك اللطائف في مراقبي عبودية الله ﷻ، وتجتاز النفس الأمارة بالسوء إلى النفس اللوامة، ومن النفس اللوامة إلى النفس الملهمة، وتطمئن نفسك بالله في هذا العصر؛ وبهذا البلاء الذي فُتح علينا من كل مكان! نعم كن صابراً مثابراً؛ فإن الله

(١) من حديث رواه الترمذي ولفظه عن أبي ثعلبة الخشني: «...فَإِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِمْ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: وَزَادَنِي غَيْرُ عُثْبَةَ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِمَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «لَا بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ». أخرجه: ٢٥٧/٥ برقم (٣٠٥٨) قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.





قد أعطاك القوة على ذلك، ولا تمل من التوبة ومن الرجوع إلى الله، ولا تيأس من فعل المعصية: تب منها وانسها، وتب إلى الله وكأنك لم تفعل شيئاً، واستقبل ربك بيوم جديد، وأنت موقن بإجابته وموقن بالصفاء، وانو في قلبك ألا يجدك في مكان قد نهاك عنه، لا تيأس من كثرة التوبة، ولا تيأس من تدافع الذنوب، ولا تجترئ على تلك الذنوب في جنب الله! استعظم الذنب في قلبك، ودعه وألقه وراء ظهرك، ثم تب وتناسى، وابدأ حياة جديدة بيوم جديد، جدد حياتك مع الله، التزم بالحلال والحرام، لا تلجأ إلى محاولة الورع وأن تتمسك به؛ فالعصر ليس عصر ورع، وجاهد نفسك بالحلال جهاداً كبيراً؛ وليكن لك ﴿ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ ﴾ [الأحزاب: ٢١] أمّل في الله خيراً «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»^(١) ارجُ الآخرة، طلق الدنيا من قلبك، هوّن عليك الموت ثم اذكر الله كثيراً، تشبّب بذكر الله ﷻ؛ فعن عبد الله بن بسر أن أعرابياً قال لرسول الله: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأُتْبِئُنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّهُ بِهِ. فَقَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(٢).

إن أنت فعلت ذلك شاهدت الأنوار، وسرت وقلبك معلق بعرش الله، إن أنت فعلت ذلك عاد للمسلمين هيبتهم ورواقهم ورواؤهم، عاد للمسلمين علمهم وفضلهم، عاد للمسلمين هذا الشأن الذي به دخل العالمون الإسلام.

العرب من المسلمين أقل من الربع والربع كثير؛ فكن أيها المسلم: داعية خير بنفسك وبلسانك وبحالك، والله ﷻ يعينك على الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم أحيينا مسلمين وأمتنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين.

(١) متفق عليه، البخاري: ٢٧٢٥/٦، برقم (٧٠٦٦)، ومسلم: ٢٠٦٧/٤، برقم (٢٦٧٥).
(٢) أخرجه الترمذي: ٤٥٨/٥ برقم (٣٣٧٥) وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ: ١٨٨/٤ برقم (١٧٧١٦)، بلفظ: «رطبا بذكر الله».



الأسوة الحسنة

من أفكار الخطبة:

- ١- رمضان أسوة الشهور، ويهديك معنى الأسوة الحسنة.
- ٢- جعل ربنا ﷺ نبينا ﷺ أسوة حسنة للعالمين.
- ٣- لن تدرك النبوة بإيمانك، ولا يسع أحد من الناس أبدًا إلا اتباعه ﷺ.
- ٤- النبي ﷺ هو المثال الأعلى الأكمل الأتم في كل شأنه.



الأسوة الحسنة

وبعد: فهذا هو رمضان قد ولّى، وسريعاً ما ولّى، يستوحش المؤمن بعد رمضان أيام رمضان: بجلالها وجمالها، بذكرها ودعائها، بقرآنها، بأيامها ولياليها، رمضان شهر القرآن، أسوة الشهور. «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ، وَكَانَ جَبْرِيلُ ﷺ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَغْرُضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جَبْرِيلُ ﷺ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»^(١).

المؤمن ينبغي عليه أن يخرج من رمضان وقد جعله أسوة حسنة في الشهور والأيام، وتعاقب الليالي والدهور، ويعلمنا ربنا الأسوة الحسنة على مستوى الفرد، وعلى مستوى الجماعة، في الزمان والمكان، والأشخاص والأحوال، يعلمنا ربنا الأسوة الحسنة على مستوى العالمين؛ فقد جعل ربنا نبينا أسوة حسنة للعالمين، قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] فالنبي المصطفى والحبیب المجتبی هو الإنسان الكامل، الذي يضعه كل مؤمن أمامه، يمثّل به ويقلده ويحاكيه، ولو في بعض جوانب الحياة، لا يستطيع المؤمن أن يكون نبياً، لكن النبي ﷺ هو المثال الأعلى الأكمل الأتم للعالمين، في علاقته بينه وبين نفسه، وبينه وبين الناس، وبينه وبين ربه.

(١) متفق عليه، البخاري: ٦٧٢ / ٢، برقم (١٨٠٣)، ومسلم: ١٨٠٣ / ٤ برقم (٢٣٠٨).





ولا يزال المصطفى ﷺ في سيرته العطرة، وفي قيامه بشأن ربه ﷻ خير العابدين، وخير مثال يحتذى، ولا يزال أسوة حسنة للمؤمنين، إذا أردت أيها المؤمن ورجوت الله واليوم الآخر وذكرت الله كثيراً، وكلما ذكر المؤمن ربه كثيراً كلما احتاج إلى نبيه ﷺ، فهو إنسان عين الموحد في الحضرة القدسية، وهو إمام المتقين يأتون به في علاقتهم بالله، من غيره لا يرى المؤمنون الطريق، ومن غيره لا يستطيع ذاكر أن يذكر ربه، ولا موحد أن ينهج النهج السليم، ولا عابد أن يعبد ربه على يقين، أرسله ربنا رحمة للعالمين، وفي علاقة النبي بالمؤمنين، وعلاقة المؤمنين بالآخرين.

يقول ربنا ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] إذن فهو يتكلم عن علاقة بين إبراهيم وبين المؤمنين، ويجعلها أسوة حسنة لنا في موقف من مواقفهم، والعلاقة بين نبينا ﷺ وبيننا عبر القرون وعلى مر الدهور والعصور، وفي كل الأمور.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَفْرَنَ لَكَ وَمَا أَمْلَكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤] هذا هو الذي اعترض ربنا عليه أن يستغفر لمشارك عتلي أثيم، لمشارك أبي أن يوحد ربه فهدم قضية الكون، فالعلاقة أنهم قالوا: ﴿إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤] فهذه آخر جمعة من شهر المثل الأسوة، تنبهوا إلى هذه المفاصلة بين المؤمنين والكافرين في العالمين، تنبهوا إلى هذه المفاصلة؛ فإن الأسوة الحسنة التي ذكرنا بها رمضان في علاقتنا مع الآخرين مبنية على ﴿إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤] وكأنهم وهم يقولون:





﴿كَفَرْنَا بِكَ﴾، قالوها بعد معاناة وبعد صدام، وبعد تبليغ، وبعد محاولة إصلاح، وبعد إصرار وعناد من الكافرين على كفرهم، وهم لا يكرهون المؤمنين، إنما هم يكرهون رب العالمين.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿[الممتحنة: ٤-٥] عزيز شديد على الكافرين، يذكرونه باسم جلال؛ فهو العزيز الحكيم: يأتي بنصره متى يشاء، وكيف يشاء، وأنى يشاء، وينصر من يشاء ﴿فَصَبِّرْ حَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

الأسوة الحسنة في مقام الجماعة المسلمة، نتذكرها في آخر جمعة من رمضان؛ لأن رمضان هو أسوة حسنة للشهور كلها، تعلمنا فيه الصيام؛ فلا تخلّ حياتك من الصيام «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصُّومَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(١) تعلمنا فيه قيام الليل فلا تخلّ حياتك من قيام الليل، تعلمنا فيه تلاوة القرآن وختمه، كما كان رسول الله ﷺ يختمه عرضاً على جبريل كل عام في رمضان، ومن أجل ذلك قسّم المسلمون القرآن ثلاثين جزءاً ولم يقسّمه رسول الله ﷺ؛ ليستطيع المؤمن أن يقرأ جزءاً كل يوم، فيختم كما كان يختم رسول الله ﷺ القرآن في رمضان على جبريل. تعلمنا الدعاء؛ فلا تخلّ أوقاتك من الدعاء. تعلمنا الذكر؛ فلا تخلّ أوقاتك من الذكر. تعلمنا الصدقة والعطاء والكرم والأريحية والتفكر في واجبات علينا قبل الله ﷻ؛ فلا تخلّ حياتك من صدقة أو زكاة. تذكر ما عليك من كفارات، كما يُكثر الناس من محاولة التوبة في هذا الشهر العظيم، وتذكر ما عليهم في ذمتهم أمام الله.

كثير يذهبون إلى بيت الله الحرام؛ فلا تخلّ أوقاتك إن قدرت على ذلك

(١) أخرجه البخاري: ٢٢١٥/٥، برقم (٥٥٣).





من الذهاب إلى هذا المكان الأجل، شهر هو أسوة حسنة، كما كان رسول الله أسوة حسنة، وكما كان إبراهيم ومن معه أسوة حسنة للمؤمنين في علاقتهم مع رب العالمين أو مع العالمين.

جمعة أخيرة، يسميها الناس الجمعة اليتيمة؛ لأنها تجعلنا نودّع شهرًا كريمًا لا يتكرر إلا مرة كل عام، والحمد لله الذي قدّر لنا هذا الشهر الكريم، تجلّو فيه نفوسنا، وتطمئن قلوبنا بذكر الله، ويستجيب ربنا دعاءنا، وينظم حياتنا، وينور قلوبنا، فعسى الله أن يثبت هذه الأنوار، وأن يكشف لنا تلك الأسرار، وأن يمكننا ﷻ من أن نجعله أسوة في حياتنا، نأخذ منه بقدر حاجتنا وقدرتنا ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

عباد الله، هذه الجمعة اليتيمة آخر جمعة في رمضان، ادعوا ربكم مخلصين أن يحررنا من شهواتنا ومن شرور أنفسنا، وألا يجعلنا فتنه للكافرين، وأن يغفر لنا ذنوبنا، وأن يكفر عنا سيئاتنا، وأن يوحد أمة محمد ﷺ على الخير، وأن يعيدنا إلى الجهاد في سبيله حتى يرضى عنا، وأن يخلعنا من دائرة سخطه إلى دائرة رضاه، اللهم يا ربنا هذا حالنا لا يخفى عليك، وضعفنا ظاهر بين يديك، وعلم كل ذلك لديك، اللهم انصرنا على القوم الكافرين. ادعوا ربكم.



الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، ونبيه وصفيه، وحببيه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه الله اليقين، اللهم صل على سيدنا محمد صلاةً وسلامًا دائمين إلى





يوم الدين، وجازه عنا خير ما جازيت به نبياً عن أمته، اللهم صلّ على سيدنا محمد الإنسان الكامل، والأسوة الحسنة، اللهم انفعنا به في الدنيا على شريعته، وفي الآخرة احشرنا تحت لوائه، وأدخلنا الجنة معه يا أرحم الراحمين، وارزقه الفردوس الأعلى الذي طلب، شفعه فينا وانفعنا به، وصلّ عليه يا رب العالمين بما يليق بجلاله عندك، وبما تعرفه أنت وحدك.

أيها المؤمنون، هذا شهر كريم ضفدت فيه الشياطين، والله فيه عتقاء من النار، ونحن ندعو الله ﷻ أن يجعلنا من عتقاء النار، اللهم اجعل هذا الجمع جمعًا مرحومًا.





عِثْرَةُ آلِ الْبَيْتِ

من أفكار الخطبة:

- ١- هما الثقلان، مَنْ تمسَّك بهما فقد نجا: «كتاب الله»، و«عِثْرَةُ أهل البيت».
- ٢- أهل البيت قائمون في هذه الأمة حتى يأتي أمر الله.
- ٣- محبة أهل بيت النبوة ركن ركين من أركان الإيمان.
- ٤- عِثْرَةُ آل البيت قدوة للمسلمين.



عَثْرَةُ آلِ الْبَيْتِ

تركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وفيما أخرجه مسلم في «صحيحه» عن زيد بن أرقم: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعِظَ وَذَكَّرَ. ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالتُّورُ. فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي: أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»^(١).

وما أخرجه الترمذي في «سننه»، وحسنه: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي؛ أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخِرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهِمَا».

وبنحوه عند أحمد في «مسنده»، عن زيد بن ثابت بإسناد جيد^(٢).

(١) أخرجه مسلم: ١٨٧٣/٤، برقم (٢٤٠٨).

(٢) حديث الترمذي أخرجه في «سننه»: ٦٦٣/٥، برقم (٣٧٨٨)، وقال: حسن غريب. وحديث «المسند» عند أحمد قال فيه الهيثمي في «المجمع» (٨٧/٩): رواه أحمد وإسناده جيد، ولفظه: عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَوْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».



ولقد صدق رسول الله ﷺ، وكان هذا القول من علامات نبوته الكثيرة
مثبتاً لأفئدة المؤمنين، مبيناً لأركان الإيمان، فمن أركان الإيمان أن نتبع هذا
الكتاب الجليل، كما اتبعه السلف الصالح تلاوة بالستنا، وقياماً في أعمالنا،
ولهجاً وراء مناهجه ومبادئه ومن المعجزات أن يبقى هذا الكتاب كما أخبر
عنه ربه ﷻ في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

والنبي ﷺ هو النبي الوحيد؛ بل هو الوحيد من البشر من بقي أهله إلى
الآن، يعيشون بيننا، ونعرفهم ويعرفوننا، حتى الذين انتقلوا وسبقونا إلى دار
الحق، هذه مراقدهم الطاهرة، تركوا لنا منهاجاً واضحاً نتبعه في هذه الحياة
الدنيا، هذا هو الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن رضي الله تعالى عنه
وأرضاه، ابن سيدنا علي المكرم كرم الله وجهه ورضي الله عنه، وابن فاطمة
الزهراء عليها السلام - كما يحرض البخاري في صحيحه أن يقول قالت
فاطمة عليها السلام^(١)، فاطمة البتول^(٢)، فاطمة بنت رسول الله ﷺ - وأسوة
للبيت الذين أمرنا ربنا ﷻ أن نحبههم والذين من الله عليهم وعلينا أن نعرف
مقامهم من الطهر والطهارة والتطهير، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

- (١) ذكر ذلك البخاري في ثلاثة وعشرين موضعاً من صحيحه.
- (١) ذكرها كذلك الذهبي، والسيوطي وغيرهما. وأصل البتول القطع والبتول من النساء المنقطعة
عن الرجال لا أرب لها فيهم وبها سُميت مريم أم المسيح على نبينا وعليها الصلاة والسلام
وقالوا لمريم العذراء البتول، قال ابن منظور: سئل أحمد بن يحيى عن فاطمة رضوان الله
عليها بنت سيدنا رسول الله ﷺ لم قيل لها البتول؟ فقال: لانقطاعها عن نساء أهل زمانها
ونساء الأمة عفافاً وفضلاً ودينياً وحسباً، وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عز وجل. انظر
«لسان العرب»: ٤٢/١١.





﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣] وهذه هي التي لا يسامح فيها رسول الله ﷺ، فحب الله وحب رسوله وحب أهل بيته من أركان الإيمان، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْدُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»^(١) وهذا هو الحاصل الآن؛ فهذه مصر قد شرفها الله بأكثر من أربعين من أهل البيت الكبار، مراقدهم تزار، نلتمس سننهم، ونلتمس مناهجهم، نلتمس ما تركوه لنا من خير، نلتمس بركتهم، نلتمس الدعاء إلى الله ﷻ بهم، تركونا على المحجة البيضاء، حتى سميت هذه الديار بـ«مصر المحروسة».

أهل البيت الكرام، نوروا الديار ظاهراً وباطناً، أهل البيت الكرام جعلوا هذه الديار -وكما كانت دائماً بإذن الله- من البركات الكبار، هذا بعض حق أهل البيت علينا، أن نجبههم بأفعالنا، بالقيام بقيامهم في هذه الدنيا.

هذا الإمام الحسن الأنور أبو السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنه ورضي الله تعالى عنها، ربى هذه الفتاة؛ حتى نشأت عابدة لله تعالى، وهم من أهل بيت تقوى، كانت أخته نفيسة الكبرى لها معبد دفنت فيه، وهو المسمى الآن بمعبد السيدة نفيسة، وكانت نفيسة الصغرى تقرأ القرآن كثيراً؛ حتى ينور قبرها، ومتى ينور القرآن قبر الإنسان؟ إذا ما أقمنه في حياتنا كما أقامه ابن زيد الأبلج الذي سُمي بالجواد؛ لأنه كان كالريح المرسلة في نفع الناس وفي إخراج الصدقات؛ حتى كان يبيت وليس عنده شيء يقتات به، هكذا وصلوا إلى مصاف الأولياء الكبار، والنبي ﷺ يقول: «كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي

(١) أخرجه الترمذي: ٦٦٤/٥، برقم (٣٧٨٩)، وقال: حسن غريب، والحاكم: ١٦٢/٣، برقم (٤٧١٦) وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.





وَنَسِي» أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما^(١).

عباد الله، أهل البيت. أهل البيت. علموا أبناءكم حب رسول الله ﷺ وعلموا أبناءكم حب أهل البيت لحبكم لرسول الله ﷺ.

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ * فَرَضَ عَظِيمٌ إِلَهُ الْعَرْشِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمْ مِنْ جَلِيلِ الْقَدْرِ أَنْكُمْ * مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ
هكذا يقول الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

عباد الله، أهل البيت منحة من منح الله، حبهم الرحمن من النفحات
الربانية والمنح الصمدانية ما الله به عليم، فتمسكوا بمحبتهم، وأدوا حقهم،
والحمد لله الذي جعلنا خير خلف لخير سلف، نعمر مساجد الله، وبخاصة
هذه المنسوبة إلى أولئك الأكابر؛ حتى لا ننسى هذا المعنى الجليل من
معجزات النبي الأمين ﷺ، وحتى لا ننسى هذا المعنى الجميل من سير
الصالحين، وحتى لا ننسى معنى البركة، ومعنى الدعاء، ومعنى الذكر.

وأقبلوا على ربكم بتلاوة كتابه الكريم، وتدبر معانيه، يفتح الله ﷻ لنا
ولكم بفهم مراده، ويوفقنا للعمل بما يرضيه.
وادعوا ربكم.



أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله، وكونوا ممن يفعل الخير ﴿وَفَعَلُوا الْخَيْرَ﴾

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير»: ٢٤٣/١١ برقم (١١٦٢١) عن ابن عباس. وأخرجه عن
عمر بن الخطاب أيضاً وقال الهيثمي في «المجمع» في حديث ابن عباس ١٠١/٩: رجاله
رجال ثقات، وفي حديث عمر: ٣١٤/٣: رجاله رجال الصحيح.





لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧] وكونوا ممن قد استجاب إلى رسول الله ﷺ لما يحييه، وهو يقول: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(١)، أكثرُوا في يومكم وفي كل يوم، من الصلاة على سيدنا المصطفى والحبيب المجتبي ﷺ، واشتغلوا بالذكر والدعاء وبتلاوة القرآن؛ حتى يرضى الله عنكم، وحتى ينور قلوبكم كما نور قلوب السلف الصالح، وحتى يستر الله عيوبكم، ويغفر الله ذنوبكم، ونكون على الخير في الدنيا والآخرة.



(١) سبق تخريجه، ص: ١١٨.





الْمَنْهَجُ الْمُخْتَارُ

من أفكار الخطبة:

- ١- اللَّهُ اللَّهُ يا خير أمة أخرجت للناس! أمة الحبيب المصطفى، والنبي المجتبى ﷺ.
- ٢- منهج الانتحار: يبدأ بالكفر وينتهي بالتدمير والتفجير، ويوقع القتل في صفوف المسلمين.
- ٣- منهج الانبهار: ينظر فيه المسلم إلى ضعفه، وينبهر بقوة الآخر فإذا به يريد أن يقلده في كل شيء ولو في الخروج عن الديانة.
- ٤- منهج الاجترار: يخالف منهج النبي المصطفى ﷺ، وهو دَيْن من لم يعيش عصره ولم يرد أن يخاطب الناس على قدر عقولهم.
- ٥- منهج الإنكار: وذلك حين تقف عقلية الخرافة في مواجهة العقلية العلمية؛ فينكر كل ما خالف قياسه على شخصه هو، ومن منطلق فكره هو، ولا يُبالي بعد ذلك أي شيء ينكر!!
- ٦- منهج الاغترار: فإنه يغتر بنفسه دون أن يكون عالمًا؛ فيهرف بما لا يعرف، ويقولون في دين الله ما لا يعلمون.
- ٧- منهج الانحصار: وهو أقلهم ضررًا؛ لأنه ينعزل عن الناس، لكنه ترك الأولى.
- ٨- المنهج المختار: من حياة النبي ﷺ وخلفائه وأصحابه رضوان الله عليهم.



الْمَنْهَجُ الْمُخْتَارُ

يقول الله ﷻ بيانا لمكانة رسوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] فأكثرُوا من الصلاة على النبي المصطفى، والحيب المجتبى بالسنتكم وبأفعالكم، بجوارحكم، بقلوبكم، بعقولكم، بأرواحكم، بمناهج سلوككم، بعلومكم، بحياتكم، بأبنائكم وأهليكم؛ ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، سلموا أنفسهم إلى رسول الله ﷺ، بيعوا أنفسهم لله فهو مالكم، وهذا البيع إنما هو لكم، أيها المؤمنون ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] وها نحن نرى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها قد تفرقت كلمتهم، ولم تتحد قلوبهم، وتشردت قراراتهم، ولا يستطيع قائدهم أن يفعل شيئا، ولا تستطيع الشعوب أن تتحرك مصداقا لقول النبي ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَضَعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عِدْوِكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١)، فاللهم يا ربنا لا حول ولا قوة إلا بك؛ اجعلنا ممن يستمعون

(١) أخرجه أحمد: ٢٧٨/٥، برقم (٢٢٤٥٠)، وأبو داود: ١١١/٤، برقم (٤٢٩٧).



القول فيتبعون أحسنه، وأخرج الدنيا من قلوبنا واجعلها في أيدينا، اللهم يا ربنا انقلنا من دائرة سخطك إلى دائرة رضاك.

﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

أيها المؤمنون، ها نحن نرى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وقد اتخذوا منهجاً آخر غير الذي أمرنا به النبي المصطفى والحبیب المجتبی ﷺ، فلا تنزل أخاك المسلم منزلة نفسك، وتنزل الأمة المسلمة بين الأمم منزلة بدنك، جسد واحد. أليس هذا ما أمرنا به ﷺ في أنفسنا وإخواننا وأمتنا، وفي العالمين؟! فما بالنا نرى بعضهم قد سلك منهج الانتحار؟! يبدأ بالتكفير وينتهي بالتدمير والتفجير، ويوقع القتل في صفوف المسلمين، وينسى ما أمره النبي ﷺ به وهو ينظر إلى الكعبة المباركة المقدسة المحرمة، التي هي محل نظر الله في الأرض، وبيت الله في الأرض، والتي هي هدى للمؤمنين، ويقول: «مَا أَطْيَبَ رِيحِكَ، مَا أَعْظَمَ رِيحَكَ، مَا أَكْبَرُ حُزْمَتِكَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُزْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ حُزْمَةً مِنْكَ، مَالِهِ وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا»^(١) يعني لو تعارض بناء الكعبة وبقاؤها مع دم مسلم لهدمنا الكعبة للحفاظ على المسلم في دمه، فأى جريمة هذه يفعل هؤلاء المجرمون الذين يدعون الإسلام والإسلام منهم براء، والذين يشوشون بفعلهم هذا على الجهاد في سبيل الله وأن وجود أحدهم بنفسه لله طلباً لرضوانه ﷻ، إعلاء كلمة الحق ودفاعاً في سبيل الله عن الوطن، وعن العرض، وعن المقدسات، وعن المبادئ، يشوشون بما يفعلون -فحسبنا الله ونعم الوكيل- على المجاهدين

(١) سبق تخريجه، ص: ٩٤.





الصامدين الذين يقاتلون في سبيل الله؛ لاسترداد القدس من أولئك الفجرة الكفرة، الذين لا تردعهم كلمة، ولا يريدون إلا العلو في الأرض.

منهج الانتحار ليس هو منهج المختار ﷺ: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣] نعم منهج الانتحار وإيقاع القتلى في المسلمين منهج مرفوض مبعوض، لا يرضى عنه الله ولا رسوله.

كذلك منهج الانبهار الذي ينظر فيه المسلم إلى ضعفه، وينبهر بقوة الآخر، فإذ به يريد أن يقلده في كل شيء، حتى في الخروج عن الديانة، وحتى في الفساد في الأرض، وحتى في عدم الالتزام بأوامر الله ونواهيه، هذا يقول فيه رسول الله ﷺ: «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قال حذيفة: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»^(١) هؤلاء يظهرون ما لا يبطنون، ويتسمون بأسماء المسلمين في أوساطنا، ويقلدون الآخرين في عقائدهم؛ منبهرين بهم وبما حققوه من بعض المكاسب الدنيوية، أو من بعض الشهوات ﷻ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [يوسف: ٢١].

ومنهج الاجترار منهج يخالف منهج النبي المصطفى ﷺ، وهو ديدن من لم يعيش عصره، ولم يرد أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(٢)،

(١) متفق عليه، البخاري: ١٣١٩ / ٣، برقم (٣٤١١)، ومسلم: ١٤٧٥ / ٣، برقم (١٨٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود: ٥١٢ / ٢، برقم (٤٢٩١)، والحاكم في «المستدرک»: ٥٦٧ / ٤، برقم (٨٥٩٢).





والنبي ﷺ يقول: «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ كَذَلِكَ أُمِرْنَا أَنْ نُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ»^(١) ويقول سيدنا علي عليه السلام: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(٢)؟! فاللهم لا تجعلنا فتنة للقوم الكافرين، هذا الذي ينسحب من العصر، ويريد أن يجتر التراث دون أن يدرك كيف يوصله، ويوصل مناهجه ومعانيه وأحكامه، وهي التي يحتاجها البشر جميعاً الآن، كيف يوصل ذلك إلى هذا العصر الذي أمرنا فيه أن نكون دعاة، وأمرنا أن نحمل هذه الدعوة، ونبلغها للآخرين على ما هي عليه ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ الْبَالِغَ إِلَى أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

نعم هذا منهج الاجترار، لم يكن منهج النبي ﷺ، ولا أصحابه المرضي عنهم من ربهم ومن رسوله ﷺ، ولا الخلفاء الراشدين، دخلت الصحابة فارس؛ فصلوا في سراويلهم، ودخلت الصحابة مصر؛ فصلوا في قباطيتهم^(٣) وعاشوا عصرهم، أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وبلغوا كلمات الله، وحملوا التوحيد فوق أعناقهم، نعم هكذا عاشوا عصورهم، جدد عمر رضي الله تعالى عنه الدين؛ فأنشأ الدواوين، وعاش عصره، وذهب إلى الشام فوجد معاوية يركب برذوناً، وكان عمر يكره هذه المظاهر، فقال: يا أمير المؤمنين، لو ركبنا الحمار لاحتقرونا قال: افعل ما شئت والله حسيبك. إخلاص في القلوب، وتعلق برب العالمين، ونصرة للدين كانت تكتنف هذا الجيل الأول،

=
وصححه العراقي والسخاوي. انظر «المقاصد الحسنة»: ٢٠٣/١، و«كنز العمال»: ٣٥١/١٢.
(١) أخرجه الديلمي: ٣٩٨/١، برقم (١٦١١). قال العجلوني في «كشف الخفا» (٢٢٥/١): رواه الديلمي بسند ضعيف، وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» في مناكير يحيى بن مالك.
(٢) أخرجه البخاري: ٥٩/١ برقم (١٢٧).
(٣) القُبْطِيَّة: ثياب كتان بيض رفاق تعمل بمصر وهي منسوبة إلى القبط على غير قياس، والجمع قُبَاطِي، وقُبَاطِي. انظر: «لسان العرب»: ٣٧٣/٧.





الذي سعى في الأرض ليصلح فيها، والذي حمى الناس جميعاً، والذي ضرب الأمثلة التي نتغنى بها -إلى يومنا هذا- في الصلاح والعدل.

وآخرون اتبعوا منهج الإنكار، وذلك حين تقف عقلية الخرافة في مواجهة العقلية العلمية؛ وتراه ينكر كل ما خالف قياسه على شخصه هو ومن منطلق عقله هو، ولا يبالي بعد ذلك أي شيء ينكر! وحياً إلهياً في كتاب كريم وسنة صحيحة، أم أمراً واقعاً مشهوداً؟!

ومن اتخذ هذا المنهج؛ فإنه ينكر أول ما ينكر حجية المصادر، وهذا ناتج في غالب الأحيان من الجهل، وفي بعض الأحيان من الهوى، ومعرفة أن الالتزام بالمصادر سوف يكون ثقيلاً على نفس المنكر.

وينكر طرق البحث، ومن هنا يختلط عنده العلم بالممارسة، يعترف في ظاهر القول بالعلم ويدعو إليه، ولكنه بمفهوم آخر يقصره على المجال الحسي، ويجعل ما فوق الحس شيئاً مختلفاً وليس علماً، مرة يسميه بالإيمان ومرة يسميه بالعقل الخرافي، وهذا نتيجة خطأ في تعريف العلم، وفي إدراك مجالاته وتطرق بحثه.

ويتميز ثالثاً بإنكار التخصص، وإذا اعترف به بلسانه لا يعترف في عقيدته، وحاله، ونراه من الأدلة، ومن البحث عنها وفيها؛ لأن ذلك يحتاج إلى علم هو يفتقده، وإلى جهد ووقت ليس متاحاً له، ويعتمد على الشبهات والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وهذا العقل الخرافي هو عقل مجتزأ، يفصل المسائل عن أصولها، ويفصلها أيضاً عن علاقتها بغيرها، ويفصلها عن مآلها، ويفصلها عن دليلها، وهذا العقل





الذي اجتزأ المسألة كثيرًا ما نواجهه بمثال ذلك الذي قرأ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤] ولم يُتم، وقرأ: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ٤٣] ولم يُكمل، وهو موجود في كل زمان ومكان، ثم من وراء ذلك يكون التداعي بتصور لزوم ما لا يلزم، والتخليط بين المصطلحات، والتلبس في المفاهيم.

وهي عقلية دائمة السخرية والكذب، والعناد، والجدل، وكل صفات نهى الله عنها فقال: ﴿هَآأَنَآ هَآؤَلَاءَ حَآجَبَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهٖ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهٖ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].

منهج الإنكار يعتمد أساسًا على الأوهام والانطباعات الشخصية والرغبات؛ فيرى نفسه أنه هو الحق المطلق، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَمْرٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَفَّيْهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

ومن أسبابه: تبسيط المركب، والاستسهال، والاستهانة، وشيء كثير من الكبر، والوهم، وهذه الصفات صفات نقص لا تؤدي أبدًا لا إلى الخير، ولا إلى النجاح، وهي كفيلة بهدم الإيمان، وكذلك بانهيار البناء الفكري لمجتمع سليم.

ثم يتوجه بمنهج من جنسه، وهو منهج الاغترار؛ فإنه يغتر بنفسه دون أن يكون عالمًا؛ فيهرف بما لا يعرف، يدعي بعضهم أن حجاب المرأة المسلمة ليس فرضًا في الدين، ويدعي بعضهم فصل السياسة عن الدين والدين عن السياسة، ويدعي بعضهم أن الوطنية مقدمة على أمة الإسلام، ويدعي بعضهم حاكمية لغير الله سبحانه وتعالى، يهرفون^(١) بما لا يعرفون، ويقولون

(١) هَرَفَ إِذَا هَدَى وَالْهَوْفُ مَذْحُ الرَّجُلِ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ. انظر «لسان العرب»: ٣٤٧/٩.





ما لا يعلمون في دين الله، فهي عقلية خرافية؛ لأنهم يتبعون الخرافة، وشأن هذا المكان هو العلم، «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(١).

ثم لجأ آخرون إلى منهج الانحصار، وهو أقلهم ضرراً؛ لأنه ينعزل عن الناس، لكنه ترك الأولى، فالنبي ﷺ أباح له هذا الانحصار؛ فقال له فيما أخرجه البخاري: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمَرْءِ غَنَمَاتٍ يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»^(٢) لكنها فتن تقع بين المسلمين بعضهم مع بعض، فإذا وقعت الفتنة بين المسلمين وبين غيرهم كما هو حاصل في عصرنا، فلا بد على المسلمين جميعاً أن يقفوا على قلب رجل واحد، وعلى قلب مسلم واحد، يجاهدون بالكلمة، ويجاهدون بالسلاح، ويجاهدون بالقلب، ويجاهدون بالتربية، ويجاهدون في كل مكان، يجاهدون الجهاد الأكبر ويجاهدون الجهاد الأصغر، حسب ما أقامهم الله ﷻ فيه، فإن لم يستطع ذلك، أو وقعت الفتنة في المسلمين؛ فيجوز له أن ينحسر وأن ينعزل، والنبي ﷺ يقول: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَضِيرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَكْبَرُ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَضِيرُ عَلَى أَذَاهُمْ»^(٣).

هذه مناهج: الانتحار، والانبهار، والاجترار، والإنكار، والاغترار والانعصار، ولكن..

أيها المسلمون، إن منهج المختار ﷺ هو الأسوة الحسنة التي ينبغي فيها أن يعيش المسلم مُدْرِكًا لزمانه عالماً بشأنه، كما وصفه رسول الله ﷺ فيما

(١) أخرجه مسلم: ٢٠٧٤/٤، برقم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه البخاري: ١٥/١، برقم (١٩).

(٣) أخرجه أحمد: ١٨٨ / ٣٨، برقم (٢٣٠٩٩).





أخرجه ابن حبان وغيره وصف المؤمن بأنه مدرك لشأنه عالم بزمانه^(١)، وربنا ﷺ جعلها أمة دعوة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فلا بد عليكم أن ترجعوا إلى منهج النبي ﷺ فهو المختار، ورسول الله ﷺ عندما نحتفل بمولده الكريم إنما نحتفل إظهاراً لمحبتة ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] أصل المسألة في الحب هو الاتباع.

مَنْصِي إِلَهِهَ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حُبَّهُ * هَذَا لَعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
إِنْ كُنْتَ حَقًّا حُبُّهُ لَا طَعْتَهُ * إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

اصبروا على ما قد بلاكُم الله به، وانتهزوا بقاءكم في الدنيا، واطلبوا رضوان الله عليكم، ثبتوا أنفسكم وأبناءكم على حب رسول الله، افرحوا بشأنه بكل مظاهر الفرح، وأول ذلك أن تنقل نفسك من دائرة السخط إلى الرضا، أيها المؤمنون، أول ذلك الاتباع، فاللهم يا ربنا اجعلنا من المتبعين لا المبتدعين، واجعلنا من القائمين بأمر نبيك في صدورنا وقلوبنا وأرواحنا وعقولنا، اللهم يا رب العالمين أحيي النبي فينا، اللهم يا رب العالمين علّق قلوبنا بحبك وبحب نبيك، اللهم يا رب العالمين تقبل منا صالح أعمالنا.

وُلِدَ الْهُدَى فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءُ * وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ
يا ربنا صَلِّ على سيدنا محمد كما يليق بجلاله عندك؛

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ * حَدٌّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

(١) أخرجه ابن حبان: ٧٦/٢، برقم (٣٦١)، وأبو نعيم في «الحلية»: ١٦٦/١، وهو حديث طويل.





نعم؛ فهو خير خلق الله أجمعين، هو خاتم النبيين، هو أحلى الخلق وأجملهم،

وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَرْقُطْ عَيْنِي * وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النَّسَاءَ
وُلِدْتَ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ * كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ
هو قطب الجمال، وهو مَنْ بُعِثَ لِيَتِمَّ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ، أَحِبُّوا رَسُولَ اللَّهِ
وَعَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ حُبَّهُ.

وادعوا ربكم.





فَاعْفُوا وَاصْفُوا

من أفكار الخطبة:

- ١- كيف غامَلَ النبي ﷺ السفهاء المَعْتَدِينَ عليه، وكيف واجه أئمة الكفر والنفاق.
- ٢- البُعْد الشاسع بين أخلاق المسلمين المعاصرين في معاملاتهم اليومية وبين أخلاق النبي المصطفى الكريم ﷺ.
- ٣- انعكاس الحال بسبب البلاغ الناقص.
- ٤- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِّينَ» هل وعينا سر اشتداد غضب رسول الله ﷺ؟
- ٥- ارتباط تسلُّط الأمم الكافرة على المسلمين ببعدهم عن منهج الإسلام.
- ٦- بنفسك؛ فابدأ ثم بمن يليك، هل فاقد الشيء يعطيه؟!!!



فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا

تركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ما ترك شيئاً يقربنا إلى الله ويقربنا إلى الجنة ويبعدنا عن النار، إلا وقد أمرنا به، وما ترك شيئاً يبعدنا عن الله ويقربنا إلى النار ويبعدنا عن الجنة إلا وقد نهانا عنه، وقال ﷺ: «فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»^(١)، تركنا ﷺ وربنا يأمرنا أن نتخذه أسوة حسنة، وأن نطيعه، وأن نُجِلِّه، وأن نعظم شأنه، وأن نحبه، وأن ندافع عنه وننصره، ونعززه في تبليغ دعوته ورسالته عن ربه، وأن ندعو العالمين، وأن نرفع ذكره على ألسنتنا، وفي مجالسنا وفي حياتنا وفي دعوتنا إلى الله. تركنا رسول الله ﷺ والقرآن يتحدث: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] والقرآن يتحدث: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ٧] والقرآن يتحدث بمكارم أخلاق الرسول ﷺ وبشريعته وبدينه، وبما أرسله الله ﷻ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، «إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً مُّهِدَةً»^(٢).

أيها المؤمنون، في يوم المولد النبوي تعرض لي أحد السفهاء وحاول الاعتداء عليّ، وفي يوم المولد النبوي الشريف رأى أحد المحسنين أن

(١) متفق عليه، البخاري: ٢٦٥٨/٦، برقم (٦٨٥٨)، ومسلم: ٩٧٥/٢، برقم (١٣٣٧).
 (٢) أخرجه الطبراني في معجميه «الأوسط»: ٢٢٣/٤ برقم (٢٩٨١)، و«الصغير»: ١٦٨/١ برقم (٢٦٤). وقال الهيثمي في «المجمع» (٤٦١/٨): رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط، ورجال البزار رجال الصحيح. وأخرجه الحاكم في «المستدرک»: ٩١/١ برقم (١٠٠) بلفظ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهِدَةٌ» وصححه، ووافقه الذهبي.



يوزع شيئاً لله من طعام؛ فرحة برسول الله وبمولده الكريم، وفي يوم المولد النبوي الشريف رأى أحدهم أن يوزع الحلوى؛ حتى يحلي بها أفواه الناس في هذه المناسبة الكريمة، ورأيت تصرف الأمة في يوم مولد النبي الشريف، وعرفت أن المسؤولية ما زالت على أعناقنا كبيرة. أما السفه فقد هاج عليه الناس وأوسعوه ضرباً، والنبي ﷺ لم يفعل هذا مع السفهاء؛ بل صبر وعفا وصفح، واستوعب الناس، وكان ينبغي على الأمة من بعده أن تفعل فعله وأن تناسي به وبأخلاقه الكريمة، والرجال مواقف، وحين المحن يظهر معدن الرجال، أمة ضربت غير مكلف -لأنه مختل عقلياً- بطريقة ينبغي فيها أن نراجع أنفسنا في موقفنا من رسول الله ﷺ، رسول الله وسع صدره للسفهاء؛ حتى إنه كان يعطي عينه بن حصن، والأقرع بن حابس مائة مائة، فقالوا له: يا رسول الله! جُعِلَ بن سُراقَة، قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَجُعِلُ بنُ سُراقَة -وقد كان رجلاً فقيراً لم يعطه النبي ﷺ شيئاً- خَيْرَ مَنْ طَلَعَ الْأَرْضَ^(١) مِثْلَ عُيَيْنَةِ وَالْأَقْرَعِ، وَلَكِنِّي أَتَأَلَّفُهُمَا لِيُسَلِّمَا، وَوَكَّلْتُ جُعَيْلًا إِلَى إِيْمَانِهِ»^(٢)؛ هؤلاء لهم مناصب في أقوامهم يتبعهم الناس، هؤلاء في قلوبهم نفاق وكبر، لكن من وراء تألفهم مصلحة حتى قال أحدهم -وهو صفوان بن أمية- عندما أفاض له رسول الله ﷺ في العطاء: والله ما هذا إلا عطاء نبي.

رسول الله ﷺ يريد منا العفو والصفح حتى مع أولئك المسيئين، ولا يظهر هذا إلا في المواقف الشديدة. أما أن نقول بالسنتنا ما لا نفعله بسلوكنا فهو ممنوع! لم أمنع الناس من أن تلقي القبض عليه لنرى ما هذا: أمجنون هو أم مدسوس؟! ولا أمنع جهات الأمن أن تحاسبه، لكن الذي حز في نفسي أن

(١) طلاع الأرض: ما طلعت عليه الشمس. وطلاغ الشيء: ملؤه. لسان العرب: ٢٣٥/٢.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات»: ٢٤٦/٤، وأبو نعيم في «الحلية»: ٣٥٣/١.





الأمة المسلمة ما زال في قلوبها قسوة توقع مثل هذا بذلك المسكين، وإن كان معتدياً. نبينا ﷺ تركنا على غير هذا، تركنا على ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿[البقرة: ١٠٩]، تركنا على أن الشديد ليس بالصرعة: أي: المصارع؛ بل الشديد من ضبط نفسه حين الغضب^(١)، تركنا وقد جاءه أعرابي جلف أخذ بخناقه ﷺ حتى أثر ذلك في عنقه الشريف^(٢)! والصحابة تريد أن تفتك به، فعلّمنا العفو والصفح، فتركه فأعطاه.

وآخر كان له دين فطالبه بطريقة غير لائقة وأوجع له الكلام، ولكنه ﷺ صبر، أيصبر هو ولا نصبر نحن؟! إذن فأين الأسوة الحسنة؟! وأين الرحمة المهداة التي ينبغي أن تقوم في قلوبنا جميعاً بإزاء الخلق؟ تركنا سنة نبينا فماذا كان؟! كان أن سلط أوباش الخلق علينا يعذبون المسلمين في سجن أبي غريب بأرضنا المحتلة في العراق! يهينون المسلمين، ويسربون الأخبار، ويستهيئون في رد فعلهم بما يفعلون بالمسلمين؛ لأن حضارتهم لا رحمة فيها؛ لأن حضارتهم ليس فيها محمد ﷺ؛ لأن حضارتهم بنيت على إبادة الشعوب، وعلى تعذيب الخلق، وعلى اغتصاب الأرض؛ لأن حضارتهم بنيت على الصراع والهيمنة؛ لأن حضارتهم بنيت على التفكك؛ لأن حضارتهم بنيت على أن تنهار لا أن تبقى، أن تدمر لا أن تعمر، فلم انعكس الحال؟! انعكس الحال لأننا لم نبليّغهم.

- (١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». رواه البخاري: ٢٢٦٧/٥ برقم (٥٧٦٣).
- (٢) أخرج مسلم في صحيحه: ٧٣٠/٢، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْنَاهُ دَاءٌ نَجْرَانِي غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَذْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً، نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.





﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»^(١)، التفت والناس تتكالب على لقمة العيش: كيف أننا قد فقدنا النظام الذي أكد عليه رسول الله ﷺ حتى في صلاتنا «لِيُنْوَا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ»^(٢) فزعت من أمة قد تحولت إلى غوغاء، ومن أمة نزع الرحمة من قلوبها، وتألمت في الإشارة الربانية التي أشار لنا الله ﷻ وبيده ملك السماوات والأرض ومقاليد السماوات والأرض: أن هناك محتلاً لأرضنا، يعذب أبناءنا، ويسخر منا ويتبول عليهم! أين هذا من الهداية التي يحتاج إليها البشر؟ ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمًا عَلَىٰ حَبِّهِمْ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُريدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿[الإنسان: ٨-٩].

كيف تحول مشهد الصحابي الجليل جعيل بن سراقة العفيف، إلى مثل هذا الغوغائي الذي لا يعرف النظام ولا النظافة؟! أو إلى هذا الذي قد نزع من قلبه الرحمة؟! عرفت أننا أمام مسئولية كبيرة. الحاضرون الآن أمامي قد يكون كلهم ليست فيهم هذه الخصال، إنما هذه الخصال موجودة في الأمة الإسلامية؛ فلنبداً جميعاً بالدعوة إلى الله وبتعليم الناس؛ لأن من الناس وكأنهم لم يدخلوا الإسلام بعد! عليكم جميعاً أن تأمروا بالمعروف مرة أخرى، وأن تعاملوا الناس بالرحمة، وأن تعاقبوا برفق من اعتدى على الحيوان، وأن نرجع مرة ثانية قيم الحياء، والخجل والزجر بهما كما هو عند العوام وفي أمثالهم،

(١) أخرجه أبو داود: ٢٨٥/٤، برقم (٤٩٤١)، والترمذي: ٣٢٣/٤، برقم (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. ويرويه شيخنا الإمام العلامة مفتي الديار المصرية بالإسناد المتصل إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد: ٥٩٧/٣٦، برقم (٢٢٢٦٣) وقال المنذري في «الترغيب» ١٨٧/١: رواه أحمد بإسناد لا بأس به. وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٥٢/٢): رجال أحمد موثقون.





حتى يرضى عنا الله ويرفع عنا البلاء، ويسدد رمي المجاهدين في سبيله،
ويمنع عنا أيدي الأمم ويرفعها عنا، ويلهمهم بشأنهم.

لا بد علينا، أن نتهم أنفسنا وأن نحاسبها قبل أن نحاسب الناس، وأن
نعرف أن هذا الطغيان والعدوان الذي هو واقع علينا، ينبغي علينا أن نتهم
أنفسنا أولاً، وأن نسعى إلى تغييرها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾
[الرعد: ١١]، ابدأ بنفسك ثم بمن تعول؛ هكذا تركنا رسول الله ﷺ، وهكذا
نحتفل بشهره الأنور «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(١).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِينَ» صيحة رسول الله ﷺ من على منبره
الشريف، غضباً على من يطيل الصلاة بالناس، فهل نفقه معنى غضب
رسول الله ﷺ؟ يروي لكم أبو مسعود الأنصاري رحمته الله قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ، مِمَّا يُطِيلُ
بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ:
«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ
وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ»^(٢).

وتأخر حال المسلمين؛ لأن منّا منفرين، حقيقة لا تحتل النكران؛ فهل
فقهنا هذا الحديث الشريف، واستخلصنا العبر والدروس؟ هل فهمنا سنة
نبينا ﷺ! هل وعينا سر اشتداد غضب رسول الله ﷺ!

عباد الله، عودوا إلى الرحمة والتراحم، عودوا إلى العلم والتعلم، عودوا

(١) سبق تخريجه، ص: ١٥٢.

(٢) متفق عليه، البخاري: ٢٤٩/١، برقم (٦٧٢)، ومسلم: ٣٤٠/١، برقم (٤٦٦) واللفظ له.





إلى الفقه والتفقه، إلى النظام وإلى النظافة، ولكن هذا لا يكفي؛ بل عليكم أن تعلموا الناس - كل الناس - بهمة الرجال الشجعان الرحماء.

ولا تعتقد أن هذا لا علاقة له بالحالة في العراق وفلسطين والشيشان وكشمير؛ فإن هذه الحالة تسلطت علينا منذ عصر النبي ﷺ بإيذاء المشركين، وظل الناس يؤذون المسلمين إلى يومنا هذا، وهذا لا ينتهي، و«لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»^(١) ولكن علينا أيها الناس أن نرجع إلى أنفسنا، وإلى حالنا، وأن نعدل ونغير ما بنا؛ حتى يغير الله سبحانه حالنا إلى أحسن حال، هكذا تكون الأسوة الحسنة في شهر ميلاده الكريم، أن نحول أوامره ونواهيه ﷺ إلى برنامج عمل يومي يؤثر في الناس، وابدأ بنفسك ثم بمن يليك، والله ﷻ يتقبل منا ومنكم.

ادعوا ربكم.



الحمد لله حمداً كثيراً طيباً طاهراً مباركاً فيه، ملء السماوات والأرض وملء ما شئت من شيء يا رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، حبيب الرحمن قوي الجنان؛ فاللهم صلّ وسلم عليه صلاة دائمة أبداً، وسلم عليه سلاماً يليق بجلاله عندك، وأشهد أنه لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، صدقنا ﷺ في كل ما وعدنا به؛ فحفظ كتابه بيننا، وحمى رسوله من أن يعبده أحد منا، وأبرز قبره، ورفع ذكره، وأكثر عدد أُمَّته، وصدق الله ورسوله.

(١) سبق تخريجه، ص: ٨٠.



فَاغْفِرُوا وَاصْفَحُوا..



الحمد لله، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله؛ فبالشهادة بنبوته تتم الشهادة، ويتم الإيمان. فالحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، اجعلوا هذا الشهر للصلاة عليه ﷺ؛ فإن الصلاة عليه تنور القلوب، وتحفظ الأبدان، وتوسع الأرزاق، عظموه في قلوبكم وعظموا شأنه، وانصروه في حياتكم وانصروا أمره؛ فليس لنا سواه ﷺ بآبًا إِلَى اللَّهِ ﷻ؛ فكل الطرق قد سدت سوى طريق رسول الله ﷺ، هو الطريق الوحيد الذي يقبل الله به الإيمان، ويقبل الله به الصالحات، وحين يقبل الله منك الإيمان؛ فإن الله سوف يدافع عنك ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].





رحمة الله في أوليائه

من أفكار الخطبة:

- ١- رسول الله ﷺ هو نبراس الهدى ، وهو مصباح الدُّجى.
- ٢- أعلیٰ ما روي في شأن الولي، عن النبي ﷺ.
- ٣- ومن بارز أولياء الله بالإهانة والحرب فإنه يكون موالياً لأعداء الله.
- ٤- حب أهل الله والتوفيق إليهم لا يكون إلا من حُب الله ﷻ.
- ٥- من رحمة الله بالعباد أن أوجد فيهم أولياءه وأصفياه.
- ٦- أخفى الله ﷻ أوليائه غيره عليهم لما استهتر الناس بهم؛ فلم تعم بركتهم.
- ٧- عودوا إلى حُب أولياء الله من الأتقياء الأنقياء، ومن أهل بيت رسول الله ﷺ وعترته.
- ٨- الدنيا دار بلاء وتكليف، الآخرة دار حساب وتشريف.
- ٩- لا تغلق على نفسك أبواب الخير؛ واستعن بالله ولا تعجز.
- ١٠- فتن كقطع الليل المظلم البهيم تموج موج البحر، ولا نجاة إلا بإدراك حقيقة «لا إله إلا الله محمد رسول الله».



رحمة الله في أوليائه

قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ» ^(١) بَشَّرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ الْإِسْلَامَ سَيَدْخُلُ كُلَّ دَارٍ، وَكُلَّ بِلَادِ اللَّهِ، قَالَ: «وَيُلْقِي الْإِسْلَامَ بِجِرَانِهِ إِلَى الْأَرْضِ» ^(٢) يعني استقام الأمر وقر في قراره، فلم يكن فتنة وجرت أحكامه على السنة والاستقامة والعدل، وقال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا؛ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» ^(٣) والإسلام بدأ غريبًا وانتشر، وها هو في أنفسنا أصبح غريبًا في عالم قد ماجت فيه الفتن، في عالم قد أصبح فيه الحق باطلاً والباطل حقًا، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً، والتبس الأمر على الناس في عالم رأينا فيه من يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون؛ حتى اختلط على الناس كل شيء، فإنا لله وإنا إليه راجعون ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩].

أيها المؤمنون، حديث رسول الله ﷺ هو نبراس الهدى وهو مصباح الدجى، وأخرج البخاري عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ» فهو حديث تلقاه رسول الله من جبريل عن الله ﷻ، حديث نبوي ولكنه قدسي نسبة رسول الله ﷺ لرب العزة: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا

(١) سبق تخريجه، ص: ٨٠.

(٢) جزء من حديث أخرجه أحمد: ٣١٦/٦، برقم (٢٦٧٣١)، وأبو داود: ١٠٧/٤، برقم (٤٢٨٦)، وابن حبان: ١٥٨/١٥ برقم (٦٧٥٧).

(٣) رواه مسلم: ١٣٠/١، برقم (١٤٥).

أَفْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أُحِبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِذَّنَّهُ»^(١) - وفي رواية ليست في البخاري: «وَلَئِنْ دَعَانِي أُحِبَبْتُهُ»^(٢) - وليس أحبته - «وَلَئِنْ دَعَانِي أُحِبَبْتُهُ، وَلَئِنْ سَأَلَنِي أُعْطِيَنَّهُ» هذا الحديث هو أعلى ما روي في شأن الولي عن النبي ﷺ.

ربنا يأمرنا أن نوالي أولياء الله وألا نبارزهم بالإهانة والحرب، ومن بارز أولياء الله بالإهانة والحرب فإنه يكون موالياً لأعداء الله، والله ﷻ أمرنا ألا نوالي أعداء الله؛ فعلينا إذن أن نمثل لحب أهل الله؛ لأن حب أهل الله لا يكون إلا من حب الله ﷻ، وأعلى الأولياء في هذه الأمة هو سيد الخلق ﷺ، فهو خير ولي كما أنه خير نبي، وهو لنا مثل الوالد للولد، وهو ﷺ المقياس والمعيار الذي إذا أردنا لهذه الحياة الدنيا أن تسير على مراد الله لا تبعناه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وأولياء الله عز وجل عبر التاريخ حاولوا أن يكونوا في ظاهريهم وباطنهم مثل رسول الله ﷺ؛ حتى إنهم كانوا يلتمسون مشيته وهيئته وسمته في مأكله ومشربه، بله أخلاقه ﷺ، بله أوامره ونواهيه، حتى كان الناس إذا ما أرادوا أن يروا رسول الله ﷺ أمامهم ذهبوا إلى ولي من أولياء الله، فرأوه يحاكي رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، يقول الإمام السيوطي: إن من رحمة الله بالعباد أن أوجد فيهم أولياءه وأصفياه؛ فإنهم يدعون الله فيستجيب، فيستقر الخلق

(١) أخرجه البخاري: ٢٣٨٤/٥، برقم (٦١٣٧).

(٢) أخرجه ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد»: ١٢٣/٣.



ويؤمنون بالله، ويعلمون أن وراء هذا العالم خالقاً قادراً حكيمًا يستجيب الدعاء، وأنه فرض على الأمة أن يخلص منها بعضهم؛ حتى يلتجئ إلى الله بالليل والنهار، لا يفتر لسانه عن ذكر الله، ولا قلبه عن التعلق به ﷺ، يخرج الدنيا من قلبه لتكون في يده؛ حتى يلجأ إليه الناس حتى يفزع إلى الدعاء؛ فإذا سأل الله أعطاه، وإذا استعاذه أعاده، وإذا دعاه أحبه وقربه إليه، ولكننا نرى في حياتنا وفي قلوبنا وفي إعلامنا حرباً على أولياء الله، واستهتاراً بهم وإهانة لهم؛ حتى إن كثيراً منهم قد تركوا الحياة لأهلها والدنيا لعشاقها وانعزلوا -مكرهين- عن الناس، فبركتهم لم تعم، وأحوالهم لم تنتشر؛ فأصبح الناس بلا رأس وبلا رؤساء يذهبون إليهم؛ فانتشر الوَبَش والوابش^(١)، والناس إذا ذهب رأسهم وذهبت رؤسائهم صاروا فوضى لا ضابط لهم.

ربنا ﷺ ينهانا أن نتخذ الذين يحاربون أولياء الله، أن نتخذهم رؤساء؛ لأنهم جهلاء بالله رب العالمين ﴿لَا تَتَّخِذْ قَوْمًا يُمُونُوكَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

(١) الوَبَش من الكلام: رديته، والوابش اسم فاعل، فهو المتكلم بالكلام الرديء؛ يأخذ من هنا ومن هنا. لسان العرب: ٣٦٧/٦.





إن هذه الحيرة التي تعيشها أمة الإسلام، إنما جاءت بالتجرؤ على أولياء الله، ليس فقط الذين على قيد الحياة، بل من كان منهم على قيد الحياة ومن لقي ربه؛ فإن الله ﷻ يغار على أوليائه، ومن المناهج التي تركها لنا رسول الله ﷺ في سنته ودعائه إلى ربه ألا يجعل في قلبنا حقداً للذين آمنوا، ولا غلاً للذين اتخذوا الله ولياً واتخذهم الله أولياء، غبش على كثير من المسلمين هذا الأمر فذهبت البركة من الطعام، وذهبت البركة من الأرزاق، وذهبت البركة في الأوقات، وذهبت البركة في الأعمال، ودعا كثير من الناس؛ فكان هذا الشعور -الذي ينفر من أولياء الله وهو في حقيقته فرار إلى أعداء الله- كان هذا الشعور حائلاً بين الإنسان وبين ربه، في آخر شهر ربيع الأول عودوا إلى حب أولياء الله من الأتقياء والأتقياء، ومن أهل بيت رسول الله ﷺ وعترته، رجالاً ونساءً علماء وأتقياء؛ فإن هذا هو الصراط المستقيم، وهو المنهج الذي نستطيع به أن نلم شعثنا، وأن نلتجئ إلى ربنا، وأن يرضى عنا برضاه، وأن يرحمنا برحمته.

أيها المسلم، جدد حياتك، ابدأ من جديد، لا تقبل من أحد من الناس أن يخرج عن منهاج السلف الصالحين، وأولياء الله، وأهل الله.

فتن كموج البحر البهيم، كقطع الليل المظلم، لا يكاد أحدنا يخرج منها إلا ووجد مثلها، والثبات يكون بذكر الله، وبإدراك معنى: لا إله إلا الله؛ فإنه لا يكون في كونه إلا ما أراد، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وأن الله غالب على أمره ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١] وأن الله ﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، وأنه ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، الله رب السماوات والأرض جعل هذه الدار دار بلاء وابتلاء وتكليف، وجعل الآخرة دار حساب ولكنها دار تشريف، ونحن نطمع في غفران الله، ونطمع أن يثبتنا.



سيدنا محمد ﷺ ظاهرة فريدة لا تتكرر

من أفكار الخطبة:

- ١- لو كان ﷺ من عند نفسه لافتضح أمره وانتهى، ولم يبلغ هذا الشأن العظيم الذي لا يدانيه فيه أحد من العالمين.
- ٢- كان ﷺ يحمل همّ الناس وهمّ قومه وهمّ يكذبونه، وهمّ الأمة من بعده.
- ٣- كان ﷺ لا يخرج منه إلا خير.
- ٤- كان ﷺ يقوم الليل إلا قليلاً، ويذكر الله تعالى ذكرًا كثيرًا.
- ٥- كان ﷺ لا يريد زهرة الحياة الدنيا.
- ٦- الصبر لا يكون جميلًا إلا إذا كان فيه ثبات واستمرار، وتحمل ورضا، وتسليم وعدم إحباط ولا يأس.
- ٧- ورث رسول الله ﷺ لنا العلم الشريف، والتربية، والقيم والأخلاق، والعقيدة الواضحة، وعمران الدنيا، وحب الناس، وكيف نحمل همّ الخلق أجمعين.
- ٨- كان قلبه ﷺ معلقًا بالله تعالى دائماً.
- ٩- لا بد للأمة أن تتأسى برسولها ﷺ في جميع أمورها، وأن تعيشه في حياتها، وأن يتحول أفرادها لأمثلة صالحة له ﷺ؛ فنكون بذلك رحمة للعالمين كما كان هو ﷺ.



سيدنا محمد ﷺ ظاهرة فريدة لا تتكرر

أيها المؤمنون، الحمد لله على نعمة الإسلام وتمام الإيمان، والحمد لله أن جعلنا أتباعاً لخير البشر من غير حول منا ولا قوة، والحمد لله رب العالمين الذي جعل رسوله الكريم خير الكائنات محمد ﷺ ظاهرة فريدة لم تتكرر.

لو كان من عند نفسه؛ لافتضح أمره وانتهى، لو كان من عند نفسه؛ لكذبه ربه، لو كان من عند نفسه؛ ما دافع عنه بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، لو كان من عند نفسه؛ لم يكن هذا شأنه، ولكن الله ﷻ بيّن لنا في كتابه الكريم وبينت لنا الأخبار أن رسول الله ﷺ كان فريداً وحيداً سيداً، وإلى يوم الدين.

ليس هناك نبي كذاب اتبعه هذا الخلق الكثير، حتى أولئك الذين اتبعوا بوذا وكونفوشيوس؛ فإنهم اتبعوهم على أنهم لهم تجربة مع الله أو مع الكون أو مع الحياة أو مع المجتمع، ولم يدعوا النبوة من عند الله ﷻ؛ بل حاولوا محاولات واتبعهم أقوام، ولكن رسل الله ﷻ -صلى الله عليهم وسلم- أيدهم الله ﷻ فأعلى ذكر النبي المصطفى ﷺ، يُنادى باسمه في المآذن في كل الدنيا؛ فيسمعه الناس في الشرق والغرب، في الماضي والحاضر والمستقبل.

يقول ربنا ﷻ في سورة الكهف، واستمراراً لما ذكرناه في الجمعة الماضية: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

هؤلاء هم الذين أمر النبي ﷺ أن يصبر نفسه معهم؛ حتى لقد قال:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ

بِهِمْ سُورَدُهَا وَإِنْ يَسْتَعِثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿[الكهف: ٢٩-٣٠] وتستمر الآيات.

أما الأمر بالصبر على القيام بالحق وتبليغه؛ فإن النبي ﷺ كان يمثل لأمر ربه حتى لقد قال له ﷺ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِعُّ نَفْسَكَ عَلَى ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا﴾^(٢) الْحَدِيثِ أَصْفًا ﴿[الكهف: ٦].

كان يحمل همَّ الناس وهمَّ قومه -وهم يكذبونه- وهمَّ الأمة من بعده، ويقول: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِلْوَلَدِ»^(٣).

كان ﷺ رفيقاً، ويأمر بالرفق، ويكره العنف وينهى عنه، عن عائشة ؓ: أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ. قَالَ: «وَعَلَيْكُمْ». فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ أَوْ الْفُحْشَ». قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ»^(٤).

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٥) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿[الفرقان: ٦٣-٦٤] نعم، كان يقوم الليل

(١) أخرجه أبوداود: ٣٤٧/٢ برقم (٣٦٦٦)، والطبراني في «الأوسط»: ٣٥٧/٨ برقم (٨٨٦٦)، وقال الهيثمي في «المجمع»: ٨٨/٧: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) سبق تخريجه، ص: ٦٦.

(٣) أخرجه البخاري: ٢٣٥٠/٥، برقم (٦٠٣٨).

سبلنا محمد ﷺ ظاهره فريد لا تنكر

إِلَّا قَلِيلًا ﴿يَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ ﴿٢﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَبِّ الْقُرْآنَ تَرِيًّا ﴿٣﴾ [المزمل: ٣-٤] كان كثيراً في ذكر ربه، ﴿وَالذِّكْرَ كَثِيرًا وَالذِّكْرَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

هذا هو القرآن الذي أتى به النبي ﷺ يأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر، ويزكينا بالإيمان؛ فيقول: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(١).

وكان النبي ﷺ لا يخرج منه إلا خيراً؛ كان ينضح طيباً صلوات ربي وسلامه عليه.

كان رسول الله ﷺ لا يريد زهرة الحياة الدنيا، ولم يضع حجراً على حجر، ولا بنى قصوراً، ولا امتلك إقطاعات، ورفض الملك عندما عرض عليه بمكة^(٢)، وكان ﷺ قد خرج من الدنيا ولا شيء له فيها، وليس هناك لأحد -من المسلمين أو غيرهم- مظلمة في ذمته ﷺ، والنبي ﷺ كان نظيفاً في داخله، رباه ربه ﷻ.

كَانَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَجُلًا صَالِحًا ضَاحِكًا مَلِيحًا، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ وَيُضْحِكُهُمْ، فَطَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي خَاصِرَتِهِ، فَقَالَ: أَوْجَعْتَنِي. قَالَ: «اِقْتَصْ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَلَيَّ قَمِيصًا، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ قَمِيصٌ، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَمِيصَهُ، فَاخْتَضَنَهُ، ثُمَّ جَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ، فَقَالَ: يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَدْتُ هَذَا^(٣).

(١) أخرجه مسلم: ٢٠٠٤/٤، برقم (٢٥٩٤).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام: ٢٩٣/١، وتاريخ دمشق: ٢٤٤/٣٨.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرک»: ٣٢٧/٣ برقم (٥٢٦٢)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي: ٤٩/٨ برقم (١٥٨٠٠).



اللهم يا ربنا صلّ وسلم عليه تسليماً، وجاهزه عنا خير ما جازيت نبياً عن أمته.
أيها المسلمون؛ ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، والصبر لا يكون جميلاً إلا
إذا كان فيه ثبات واستمرار، وتحمل ورضا وتسليم، وعدم إحباط ولا يأس
﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

أيها المسلمون، ربّي ربُّنا نبينا ﷺ أحسن تربية، ولا بد علينا من أن نتربى
كما ترك لنا رسول الله ﷺ تراثه وميراثه؛ فإنه لم يُورث ديناراً ولا درهماً، لكنه
وَرَّثَ العلم الشريف، وَوَرَّثَ التربية، وَوَرَّثَ القيم والأخلاق، وَوَرَّثَ العقيدة
الواضحة، وَوَرَّثَ عمران الدنيا، وَوَرَّثَ حب الناس، وورثنا كيف نحمل هم
الخلق أجمعين؛ فاللهم يا ربنا وفقنا لأن ندل عليك كما أردت.
ادعوا ربكم.



عباد الله، هذا رسول رب العالمين: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ① وَوَضَعْنَا عَنكَ
وِزْرَكَ ② الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥
فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ⑧ [الشرح: ١-٨] قلب معلق بالله دائماً، وكانت هذه
حالة رسول الله ﷺ على الدوام -وهو الذي تنام عيناه ولا ينام قلبه^(١) فكان
قلبه معلقاً بالله حتى في حال النوم، والحمد لله رب العالمين.

اقرأوا القرآن، واستخرجوا منه سيرة رسول الله ﷺ ونفسيته، وكيف كان من
داخله، تجدون إنساناً كاملاً، تجدونه أسوة حسنة، تجدونه قائداً للغر المحجلين
يوم القيامة، ولا يصلح له إلا هذا المقام؛ فإنه ﷺ كان عظيم الشأن.

(1) رواه البخاري: ٦٤/١، برقم (١٣٨) باب التخفيف في الوضوء.





ولكن لا بد علينا من أن نتأسى به، وأن نعيشه في حياتنا، وأن يتحول كل منا إلى مثال صالح لنبينا ﷺ؛ فنكون بذلك رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهِدَةٌ»^(١)، ونكون بذلك مصلحين غير مفسدين، ونكون بذلك عبادًا ربانيين، إذا ما مددنا أيدينا إلى السماء وقلنا: يا رب، أعاننا ربنا على رسالتنا.

﴿كُونُوا رِبِّيِّنَ﴾ [آل عمران: ٧٩] باتباع النبي في أخلاقه، ﴿كُونُوا رِبِّيِّنَ﴾ باتباع الرسول في سيرة وحياته، «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(٢)؛ فاللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



- (1) أخرجه الحاكم في «المستدرک»: ٩١/١، برقم (١٠٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي.
- (2) أخرجه الترمذي: ٧٠٩/٥، برقم (٣٨٩٥) وقال: حسن غريب صحيح. وابن حبان: ٤٨٤/٩، برقم (٤١٧٧).





إِنْ لَمْ نَفْرَحْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَبِمَنْ!!؟

من أفكار الخطبة:

- ١- بمولده ﷺ كان ميلاد خير أمة أخرجت للناس، وبعثه كان العهد الأخير من الله ﷻ.
- ٢- أظهرت الأكوان كلها فرحها بالنبي المصطفى ﷺ وحفاوتها: في منشئه وفي وجوده.
- ٣- رسول الله ﷺ أَحَبُّ الأكوان وَأَحَبَّتْهُ.
- ٤- سَبَّحَ الحصىُ بيديه، وكثر الطعام، ونبع الماء، وَخَنَّ الجنع شوقًا إليه.
- ٥- انْقَادَ له الشجر، وعرفته الناقة فشكت إليه الجوع والتعب.
- ٦- فرح بمولده الكافر فخفف الله عنه العذاب؛ فكيف بفرح من آمن؟!؟
- ٧- هو رحمة الله للعالمين.



إِنْ لَمْ نَفْرَحْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبِمَنْ؟!!

بمولد الهادي المصطفى، والحيب المجتبى، رسول رب العالمين إلى العالمين وإلى يوم الدين ﷺ، وبمولده ﷺ كان ميلاد خير أمة أخرجت للناس، وبعثه كان العهد الآخر، والميثاق الخاتم من الله إلى البشر، وإلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، يقول رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»^(١) وأشار بأصبعيه الشريفين السبابة والوسطى؛ يدل بذلك على أن الأمر قريب، وهو قريب عند الله وإن استطاله الناس ﴿وَمَا يَذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] ومن هنا نبهنا رسول الله ﷺ أنه إنما بُعِثَ بين يدي الساعة، وبشرنا بأن طائفة من أمته سيظلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة^(٢)، وبشرنا بأن الإسلام سيعود غريباً فطوبى للغرباء^(٣)، وبشرنا فقال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ»^(٤) وبشرنا فجعل أجر العامل منا خمسين من صحابته الكرام^(٥)، وبشرنا بالأجر العميم، وبشرنا أن نتمسك بديننا إلى أن نلقى الله آمنين، فاللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يا أرحم الراحمين.

- (١) متفق عليه، البخاري: ٢٣٨٥/٥، برقم (٦١٣٩)، ومسلم: ٢٢٦٨/٤، برقم (٢٩٥١).
- (٢) كما في الصحيحين وغيرهما من حديث معاوية رضي الله عنه: «...وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ». البخاري: ١١٣٤/٣، برقم (٢٩٤٨)، ومسلم: ١٥٢٤/٣، برقم (١٠٣٧).
- (٣) كما في مسلم وغيره ولفظه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». أخرجه في صحيحه: ١٣٠/١، برقم (١٤٥).
- (٤) أخرجه الترمذي: ٥٢٦/٤، برقم (٢٢٦٠) وقال: غريب.
- (٥) سبق إirاده وتخريجه، ص: ١١٧.



لما أتى رسول الله ﷺ فرحت الأكوان به كل الأكوان: الجماد، النبات، الحيوان، الإنسان؛ فيا فرحة من آمن بالنبي ﷺ! ويا لسروره!

أظهرت الأكوان كلها حبها للنبي المصطفى ﷺ: في منشئه وفي وجوده. يقول المصطفى ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ. إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»^(١)؛ إنه يعلمه ويشاهده ويسمعه وهو يسلم عليه؛ تثبيتاً لفؤاده الشريف، وإكراماً لمقامه عند ربه، وتدريباً به ﷺ للاتصال بعالم الغيب، والنبي ﷺ أمسك حصي فسبح الحصى في يديه وأصله في الصحيح، ولكن زاد أبو نعيم في (الدلائل)، والبيهقي في (الدلائل) أيضاً أن الحصى لما سبح بين يديه وسمعه أصحابه ناوله إلى أبي بكر؛ فسبح الحصى في يديه إكراماً للحبيب ﷺ، وأرجعه إلى النبي فناوله إلى عمر؛ فسبح الحصى بين يدي النبي ﷺ في يد عمر وأرجعه إلى النبي، فناوله إلى عثمان؛ فسبح الحصى في يد عثمان بين يدي النبي ﷺ، ثم توزع الحصى على الصحابة فلم يسبح^(٢)، والنبي ﷺ كان واقفاً على أحد وهو يقول لنا: «أُحَدِّثُ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» أخرجه البخاري ومسلم^(٣) كان واقفاً عليه وهؤلاء الفتية الذين بشرهم بالجنة،

(١) أخرجه مسلم: ١٧٨٢/٤، برقم (٢٢٧٧).

(٢) انظر الحديث بتمامه في «المعجم الأوسط»: ٥٩/٢، قال الهيثمي في «المجمع» ٣٢٧/٥: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه محمد بن أبي حميد وهو ضعيف، وله طريق أحسن من هذا في «علامات النبوة» وإسناده صحيح. وقال أيضاً ٥٢٧/٨: رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات، وفي بعضهم ضعف.

قلت: قال المناوي في «الفتوحات السبحانية»: (قال العارف ابن عربي: إنما فتح الله آذانهم لسماع التسبيح، فكان الإعجاز في فتح الآذان لا في تسبيح الحصا؛ لأن الحصا لم يزل مسبحاً). أ.هـ بتصرف.

(٣) البخاري: ١٠٥٨/٣، برقم (٢٧٣٢)، ومسلم: ١٠١١/٢، برقم (١٣٩٣).





فارتعش أحدٌ واهتز وارتج؛ حتى ضربه رسول الله ﷺ بقدمه الشريفة فسكن^(١).

تَلَوْمُوا أَحَدًا لَّا ضُطْرَابَ * إِذْ عَالَاهُ فَالْوَجْدُ دَاءٌ
أَحَدًا لَا يُلَامُ فَهُوَ مُحِبٌّ * وَلَكُمْ أَطْرَبُ الْمُحِبِّ لِقَاءُ

رسول الله ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيَسْتَدْ طَهْرَهُ إِلَى جَذَعٍ مَنْصُوبٍ فِي
الْمَسْجِدِ فَيُخْطَبُ، فَجَاءَ رُومِي فَقَالَ: أَلَا نَضَعُ لَكَ شَيْئًا، تَقْعُدُ وَكَأَنَّكَ قَائِمٌ؟
فَصَنَعَ لَهُ مِنْبَرًا لَهُ دَرَجَتَانِ، وَيَقْعُدُ عَلَى الثَّالِثَةِ، -والمنبر الذي في المدينة الآن
مكان ذلك المنبر الشريف- فَلَمَّا قَعَدَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُنْبَرِ خَارَ الْجَذَعُ خُورًا
الشَّوْرَ حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ بِخُورِهِ حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَرَلَ إِلَيْهِ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُنْبَرِ، فَالْتَزَمَهُ وَهُوَ يَخُورُ، فَلَمَّا التَزَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَكَتَ،
ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ مَا زَالَ هَكَذَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ حُزْنًا
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدُفِنَ -بِعَنِي الْجَذَعِ-. وَفِي خَبَرِ
جَابِرٍ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ هَذَا بَكَى لِمَا فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ»^(٢).

فالنبي ﷺ كان يخطب إلى جذع؛ فلما صنع المنبر؛ فتحول إليه حن
الجذع، فأتاه رسول الله ﷺ فاحتضنه فسكن وقال: «لَوْ لَمْ أُحْتَضِنُهُ، لَحَنَّ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

حن الجذع حينئذ سمعه من في المسجد، والنبي ﷺ وصفه ربه بأنه

(١) أخرجه البخاري: ١٣٤٤/٣، برقم (٣٤٧٢)، ولفظه: عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
صَعَدَ أَحَدًا وَأَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «اثْبُتْ أَحَدًا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ
وَشَهِيدَانِ».

(٢) أخرجه الدارمي: ٣٢/١، برقم (٤١)، وابن خزيمة في «صحيحه»: ١٤٠/٣، برقم (١٧٧٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه: ٤٥٤/١، برقم (١٤١٥)، قال البوصيري (١٦/٢): هذا إسناد صحيح رجاله
ثقات، وأخرجه أحمد: ٢٤٩/١، برقم (٢٢٣٦).





﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] للجن والإنس والجماد والحيوان. والنبي ﷺ هو الذي قال: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ»^(١)، والنبي ﷺ هو الذي قال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، اذْهَبُوا مِنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّن فِي السَّمَاءِ»^(٢) فنزل النبي ﷺ بقدره الجليل، واحتضن هذا الجذع حتى سكن. وقال: «وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَخْتَضِنُّهُ لَبَقِيَ فِي حَيْنِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣) ودفن النبي ﷺ الجذع قال الدارمي: فَرَعَمَ ابْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ سَمِعَ حَيْنَ الْجَذَعِ رَجَعَ إِلَيْهِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اخْتَرُ أَنْ أُعْرِسَكَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ، فَتَكُونَ كَمَا كُنْتَ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُعْرِسَكَ فِي الْجَنَّةِ فَتَشْرَبَ مِنْ أَنْهَارِهَا وَغُيُونِهَا فَيَحْسَنَ نَبْثُكَ وَتُثْمِرَ، فَيَأْكُلَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ ثَمَرَتِكَ وَنَحْلِكَ فَعَلْتُ». فَرَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: «نَعَمْ قَدْ فَعَلْتُ». مَرَّتَيْنِ، فَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اخْتَارَ أَنْ أُعْرِسَهُ فِي الْجَنَّةِ»^(٤) أي إنه يدعو ربه ﷻ، يدعو ملك الملوك أن يصاحبه هذا الجذع في الجنة.

سَبَّحَ الطَّعَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ^(٥) وكثر ونَمَى؛ حتى إنه قد كَفَى الجمع الغفير، وكثر الماء بين يده وفَارَ^(٦) وهو خير ماء على وجه الأرض؛ بل وفي الأكوان كلها.

(١) سبق تخريجه، ص: ١٦٩.

(٢) سبق تخريجه، ص: ١٥٢.

(٣) أخرجه أحمد: ٢٤٩/١ برقم (٢٢٣٦) ورقم (٢٢٣٧)، وابن ماجه: ٤٥٤/١ برقم (١٤١٥)، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٤) أخرجه الدارمي: ٢٩/١ برقم (٣٢).

(٥) أخرجه البخاري: ١٣١٢/٣، برقم (٣٣٨٦).

(٦) أخرج الشيخان عن أنس بن مالك قال: أتى النبي ﷺ بِنَاءٍ وَهُوَ بِالزُّورَاءِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ. قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: «ثَلَاثُمِائَةٍ، أَوْ زُهَاءَ ثَلَاثُمِائَةٍ». أخرجه البخاري واللفظ له: ٨٤/١، برقم (١٩٧)، وبنحوه أخرجه مسلم: ١٧٨٣/٤، برقم (٢٢٧٩).





وأفضل المياه ماءً قد بُع * مِنْ بَيْنِ يَدَيِ النَّبِيِّ الْمُتَّبِعِ
صلى الله عليه وسلم، فسقى الجيش كله، انقاد له الشجر^(١) واشتكت له
الناقة ما يفعله صاحبها بها^(٢).

رسول الله ﷺ أحبته الأكوان، حتى الكفار أحبوه؛ لما جاءت ثُوْبِيَّة إلى
أبي لهب وبشّرته بأن محمداً قد وُلِدَ أعتقها، أخرج البخاري عن عُرْوَةَ
قَالَ: ... ثُوْبِيَّةُ مَوْلَاةٌ لِأَبِي لَهَبٍ، كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا
مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أَرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حَيْبَةٍ، قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتِ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ
أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بَعَثَاتِي ثُوْبِيَّةَ^(٣). فإذا كان النبي
المصطفى ﷺ قد بلغت رحمته العالمين حتى الكفار، فما بالك بالمؤمنين عند
فرحهم به وسرورهم وحبورهم بمقدمه الشريف؟!

﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِهِمُ اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٥] وأيام الله تكون نحسًا على الكافرين

(١) أخرج مسلم وغيره من حديث جابر: سَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفِيحَ فَذَهَبَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَتَنَظَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا يَسْتَوِي بِهِ
فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِي الْوَادِي فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْنِي إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بَعْضَ مِنْ أَغْصَانِهَا
فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ». فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَحْشُوشِ الَّذِي يُضَانِعُ قَائِدَهُ حَتَّى أَتَى
الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى فَأَخَذَ بَعْضَ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ». فَانْقَادَتْ مَعَهُ
كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمُنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا لَمْ يَبْنَهُمَا -يَغْنِي جَمْعُهُمَا- فَقَالَ: «الْتِمَا عَلَيَّ
بِإِذْنِ اللَّهِ». فَالْتَمَتَا... الحديث) أخرجه مسلم: ٢٣٠٦/٤، برقم (٣٠١٢).

(٢) أخرجه أبو داود: ٢٧/٢، برقم (٢٥٤٩)، والحاكم: ١٠٩/٢، برقم (٢٤٨٥) وصححه، وفيه:
فَإِذَا جَمَلَ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ:
«مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟». فَجَاءَ فَتَنَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ.
فَقَالَ: «أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكِنِي إِلَيَّ أَنْكَ تُجِيعُهُ وَتُذَيِّبُهُ».
قال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٣) سبق تخريجه، ص: ٣٨.





وعذاباً على المشركين، وهي في الوقت ذاته نصرة للمؤمنين؛ ولذلك فإن النبي ﷺ لما دخل المدينة، ووجد أهلها من اليهود يصومون يوم عاشوراء وسأل ما هذا؟ قالوا هذا يوم نجى الله فيه موسى - ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] - فلما نجى فيه الله موسى - يعني: وأهلك فرعون - قال: «نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ»^(١) فصامه وأمر بصيامه ﷺ، والقرآن قد يأتينا بشيء عام يظل إلى يوم القيامة؛ أمراً للمؤمنين، وإرشاداً لهم وتوجيهاً لشأنهم؛ فإذا نفذناه في أي وقت كان فإنه يكون من الدين؛ لأنه من كلام رب العالمين، وإنما جعلناه إماماً لنا، وجعلناه هادياً لنا، وجعلناه مرشداً لنا، وسيظل شأن القرآن عظيماً إلى يوم الدين: «كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ يَقْصَمُ اللَّهُ كُلَّ جَبَّارٍ، مَنْ اغْتَصَمَ بِهِ نَجَا، وَمَنْ تَرَكَهُ هَلَكَ - مَرَّتَيْنِ - قَوْلٌ فَضْلٌ وَلَيْسَ بِالْهَزْلِ، لَا تَخْتَلِفُهُ الْأَلْسُنُ، وَلَا تَفْنِي أَعَايِينُهُ»^(٢).

أيها المؤمنون، افرحوا برسول الله، أحبوا رسول الله، علموا أبناءكم حب رسول الله ﷺ، لا نجاة لنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن إلا برسول الله ﷺ، التفوا حول سنته وشريعته ومقامه الكريم، بقلوبكم، بعقولكم، بسلوككم، بحياتكم، بأموالكم، بأنفسكم وبيعوها لله، أخرجوا الدنيا من قلوبكم، ولتكن في أيديكم، أحبوا رسول الله ﷺ فإن حبه ركن الإيمان، أحبوا رسول الله ﷺ وأكثروا من الصلاة عليه بالليل والنهار ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. ادعوا ربكم.



(١) أخرجه البخاري: ٤/ ١٧٦٤، برقم (٤٤٦٠).

(٢) أخرده أبو يعلى بهذا اللفظ: ٣٠٢/١ برقم (٣٦٧)، وأخرجه أحمد بن حنبل: ١١١/٢، برقم (٧٠٤)، والترمذي: ١٧٢/٥ برقم (٢٩٠٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ.



أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ؟

من أفكار الخطبة:

- ١- رسول الله ﷺ خير الخلق أجمعين.
- ٢- مَنْ هو هذا الرسول الأعظم الذي قد جهله بعض الناس؟!
- ٣- الصادق الأمين المبارك، بهذا وصفوه قبل البعثة.
- ٤- ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون.
- ٥- تسليية الله عباده بوصف حال النبي ﷺ في تلك الشدائد بالقرآن.



أَفَلَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ؟

فإن الله ﷻ من مَنَّا علينا اختار لنا خير الرسل وخاتمهم، وجعلنا أتباع سيد الخلق ﷺ، ووصفه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وكان رسول الله ﷺ بإذن الله، وبإرادة الله، وباصطفاء الله ﷻ، ولأن الله ﷻ هو الفاعل على الحقيقة، وهو الخالق على الحقيقة، ولا يكون في كونه إلا ما أراد؛ فقد خلقنا وما نفعل وما نعمل، وخلق مستقبلنا وماضيها وحاضرنا سبحانه جل جلال الله؛ فإنه أذن أن يكون هذا الإنسان خير خلق الله كلهم ظاهراً وباطناً، خُلُقاً وخُلُقاً، فكراً ومنهجاً، ديناً وأحكاماً؛ فكان أسوة حسنة للعالمين، آمن به من آمن، وكفر به من كفر، وضل عنه من ضل، فالحمد لله على نعمة الإسلام أن جعلنا أتباع النبي المصطفى والحبيب المجتبي ﷺ.

من هو رسول الله ﷺ الذي جهله الناس وتجاهلوه؟!

رسول الله ﷺ كان قبل البعثة يدعى بمكة «الصادق الأمين». تخيل وفي خضم الجاهلية! تخيل رجلاً يرى الصدق من مكارم الأخلاق، وإن كان الكذب من عوائد الناس، ويرى الصدق فيصدق بإذن الله، ولا يستطيع أحد أبداً في تاريخ حياته أن يجد له كذبة! فسموه بالصادق واثمنوه على أماناتهم وأعراضهم وأنفسهم، وإن كانوا مخالفين له؛ فسموه بالأمين فصار هو الصادق الأمين ﷺ، ومرة وهو يرى أنهم يكذبونه فيما يمس حياتهم صعد على تبة أو تلة صغيرة وقال: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ -وفي رواية: أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ- أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟»



قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا^(١).

ولما جاءه الأمر من ربه ﷻ بأن يهاجر من مكة إلى المدينة؛ ابتعاداً عن أذيتهم للمؤمنين، وتمهيداً لبناء الدولة التي ستخرج إلى العالم أجمعين؛ ردّ الودائع التي كانت عنده للمشركين، إذن فالمشركون كانوا يضعون عنده الودائع! ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّأَتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

أضاف إلى الصدق والأمانة: البركة، خرج في التجارة مع عمه فكان ذكياً فطناً، يأخذ السلعة من مكة -وهي تأتيها من رحلة الشتاء من اليمن- ليخرج بها إلى الشام، ولا يخرج بمحض نقود يشتري بها ثم يعود؛ بل إنه يأخذ تلك النقود بتقليب تجارة وإدارة حسنة يأخذها إلى الشام، وعندما يأخذها إلى الشام يبيعها فيربح، فكان من المعتاد أن يشتري ويعود، لكنه كان يقلب المال هناك في دورة أفقية أخرى، ويشتري وبيع وهو في الشام، حتى إذا ما زاد المال وكثر اشترى سلعاً بعينها؛ تكون أكثر نفعاً لذويه، ويكون أهل بلده أكثر انتفاعاً بها، فيعود فيربح بها أضعافاً كثيرة، ويزداد المال في يده من حسن ذكائه وفطنته وإدارته -بتوفيق الله له وعلو شأنه عنده- أضعافاً كثيرة، لا يراها الناس مع أقرانه والمتدربين على هذا من ذويه وأهله؛ حتى لفت هذا الأمر انتباه السيدة خديجة عليها السلام وهي أم فاطمة الزهراء أصل أهل البيت الكرام، وتزوجها النبي ﷺ، ورزقه الله منها الولد بنين وبنات، إلا أن الله ﷻ وعلى عادته مع أولئك الذين هم من أهله -أهل الله- يريد أن يفرغ قلبهم له سبحانه؛ فلم يبق له ولد ذكر لأمرٍ يريد الله ﷻ، من أن أبناء الأنبياء على هذه الصفة

(١) متفق عليه؛ البخاري: ١٧٨٧/٤، برقم (٤٤٩٢)، ومسلم: ١٩٣/١، برقم (٢٠٨).





ومع ذلك العلو يكونون من الأنبياء، وهو خاتم المرسلين، فصبر ولم يجزع فلم نسمع منه كلمة فيها اعتراض على قضاء الله وقدره، والله ﷻ جعله مثالا للصابرين المحتسبين؛ فكان يتيما وضيق عليه في رزقه في أول الأمر، ولما جاء الرزق بعد ذلك وفتحت عليه الغنائم لم يبق منها في يده شيء؛ لأنه كان يخرجها كلها لله رب العالمين..

صادق أمين مبارك ﷺ.

إذن؛ فهذا هو سيدنا رسول الله ﷺ، رسول الله الذي سبّه السفهاء!! وأحدهم^(١) جاءه مستشفعا بعثمان رضي الله عنه، وهو ﷺ في فسطاطه يوم الفتح، وقد دخل معه عثمان ذو النورين؛ وسمي بهذا الاسم لأنه قد تزوج رقية ثم تزوج أم كلثوم ابنتي النبي ﷺ؛ ماتت هذه عنده وماتت هذه عنده، وقال رسول الله ﷺ: «فَلَوْ كَانَتْ عِنْدِي ثَلَاثَةُ لَزَوْجَتُهُ»^(٢)، كان يحب عثمان؛ لحيائه، لهدوئه النفسي، لكرمه، لإيمانه، ومرة عندما جهز جيش العسرة قال ﷺ:

(١) هو عبد الله بن أبي سرح، عن شُرَيْبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: «نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ فَرَّ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، وَكَانَ أَخَاهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ، فَغَشِيَتْهُ عِنْدَهُ حَتَّى اطْمَأَنَّ أَهْلُ مَكَّةَ، ثُمَّ أَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْمَنَ. قَالَ الْحَاكِمُ: «قَدْ صَحَّتِ الرَّوَايَةُ فِي الْكِتَابَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ قَبْلَ دُخُولِهِ مَكَّةَ بِقَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَطْلٍ، فَمَنْ نَظَرَ فِي مَقْتَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه وَجَنَائِزِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ عَلَيْهِ بِمَضَرٍ إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ عَلِيمٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَعْرَفَ بِهِ». الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»: ٤٨/٣، بِرَقْم (٤٤١٢).

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة»: ٤٨١/١، بِرَقْم (٧٨٢)، وابن عساكر في «الجامع»:





«مَا ضَرَّ عُثْمَانُ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ»^(١) فلم يفعل شيئاً إلا أنه استشهد وهو يقرأ القرآن الكريم، وسال دمه الشريف على مصحفه رضي الله تعالى عنه وأرضاه، كان عثمان تستحي منه الملائكة^(٢)؛ لأنه كان حياً مع الله.

دخل ذلك السافل مع عثمان، وعثمان يتشفع له والنبي يكظم غيظه، ويأبى ثلاثاً، ثم قَبِلَ شفاعَةَ عثمان وعفا عن الرجل، وبعدما خرج والضيق يملأ صدر النبي ﷺ؛ غضباً لربه، وخشية على هذه الأراجيف أن تشوش على بعض العقول الضعيفة فتصدهم عن سبيل الله قال: «أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَيَّ هَذَا حَيْثُ رَأَيْتُ كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ». فَقَالُوا مَا نَذَرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، أَلَا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟ -يريدون أن يشير رسول الله ﷺ بعينه هكذا: أي: اقتلوه، كالجبابرة والأكاسرة والفراعنة ومن أرادوا بغياً في الأرض وطغياناً- قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ»^(٣) لم يقل لسانه كذباً، ولم يكن فعله كذباً؛ بل إن طرفة العين منه لم تكذب ولم تخن؛ فصلَّى الله عليك وسلم يا سيدي يا رسول الله؛ كم تجرع من جرعة غيظ! وكم كتم في صدره من حزن! وكم حمل على ظهره هم الناس!

ناداه جبريل ﷺ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، -يقول الحبيب

(1) أخرجه الترمذي: ٦٢٦/٥، برقم (٣٧٠١)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم في «المستدرک»: ١١٠/٣، برقم (٤٥٥٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(2) أخرجه مسلم: ١٨٦٦/٤، برقم (٢٤٠١).

(3) أخرجه أبو داود: ٥٩/٣، برقم (٢٦٨٣)، والحاكم: ٤٧/٣، برقم (٤٣٦٠) وقال: صحيح على شرط مسلم.





المصطفى ﷺ: «فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ^(١) أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ^(٢)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ -يعني ليس منهم- مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٣) فَلَبَّى اللَّهَ لَهُ مَا أَرَادَ وَزِيَادَةً؛ فَجَاءَهُ وَقَدْ الطَّائِفُ فَأَسْلَمَ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَحَكَّكَ وَيَتَمَحَّكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ خَفَّفْ عَنَّا الْخَمْرَ، خَفَّفْ عَنَّا الزَّكَاةَ، خَفَّفْ عَنَّا الصَّلَاةَ. لَا يَرِيدُونَ أَنْ يَغَيِّرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ، وَلَا أَنْ يَدْخُلُوا فِي مَفْهُومِ الدِّينِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ ﷻ، فَقَالَ لَهُمْ: «...وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ»^(٤).
والحمد لله الإسلام هو الذي يأمر أتباعه بالسجود فقط، ولا يسجد له سبحانه في العالمين إلا المسلمون.

رسول الله ﷺ يصفه ربه وهو أعلم به منا فيقول: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] ويسلي قلبه ويقول له: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] هو يصف حاله لنا حتى نتبعه ﷺ وننجح ونؤيد من عند الله ﴿وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ

(١) كذا في رواية البخاري ولفظه. قال ابن حجر: وَقَدْ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ مَقْدَامِ بْنِ دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ شَيْخِ الْبُخَارِيِّ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ» قَوْلُهُ: «ذَلِكَ» مُبْتَدَأٌ وَخَبْرُهُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ كَمَا عَلِمْتُ أَوْ كَمَا قَالَ جَبْرِيلُ، وَقَوْلُهُ: «مَا شِئْتَ» اسْتِفْهَامٌ وَجَزَاؤُهُ مُقَدَّرٌ، أَيُّ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ. انظر: فتح الباري: ٣١٦/٦.

(٢) الْأَخْشَبَانِ: الْجَبَلَانِ الْمُطِيفَانِ بِمَكَّةَ، وَهُمَا: أَبُو قُبَيْسٍ وَالْأَخْمَرُ، وَهُوَ جَبَلٌ مُشْرِفٌ وَجْهُهُ عَلَى قُعَيْنَعَانَ. وَالْأَخْشَبُ: كُلُّ جَبَلٍ خَشِينٍ غَلِيظٍ. لسان العرب: ٣٥١/١.

(٣) متفق عليه؛ البخاري: ١١٨٠/٣، برقم (٣٠٥٩)، ومسلم: ١٤٢٠/٣، برقم (١٧٩٥).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط»: ٣٨٣/٢، برقم (٢٢٩٢). وأخرجه أيضًا في «الصغير»: ١١٣/١، برقم (١٦٢)، قال الهيثمي (٢٩٢/١): تفرد به الحسين بن الحكم الحبري.





بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ ﴿[النحل: ١٢٥-١٢٧]﴾ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ؛ لأنه يعلم أن طاقتنا قد لا تتحمل ذلك الصبر الذي تحمله رسول الله ﷺ وإنما يقول له: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿[النحل: ١٢٧-١٢٨]﴾.

آيات وكأنها قد نزلت علينا الآن، وهذا هو إعجاز القرآن يتكلم ويسلي قلوب المؤمنين ويثبت الإيمان في قلوبهم؛ فالحمد لله الذي جعلنا من أتباع ذلك النبي المصطفى الذي قال له ربه ﷻ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿[الشرح: ١-٨]﴾.

أرأيت ماذا يقول له؟! إنه يتحمل أعباء الناس، وإنه وهو يقول لنا: «إِنَّمَا أَنَا كُفٌّ مِثْلُ الْوَالِدِ لِلْوَلَدِ»^(١) قد حمل همنا، فاللهم جازه عنا خير ما جازيت نبيا عن أمته، اللهم أقمنا يا رب العالمين في سنته، فهمنا منهجه في حياته، أقمه فينا نعيشه؛ حتى ننال سعادة الدارين.

ماذا أقول في خلق رسول الله؟! وهل يستطيع أحد أن يستوفي حقه ولو أطل؟!!

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمُ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ * سَعْيًا وَفَوْقَ مَثُونِ الْأَيْتَنِ الرُّسْمِ
مَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى الْمُعْتَبَرِ * وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لُمُعْتَمِنِ

(١) سبق تخريجه، ص: ٦٦.





ماذا أقول؟!

كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالْبَدْرِ فِي شَرْفٍ * وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالْدَّهْرِ فِي هِمَمٍ

ماذا أقول؟!

دَعُ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ * وَاحْكُم بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكُم
فَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ * وَأَنْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمٍ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ * حَدٌّ فَيَغْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ

فصلي الله عليك وسلم يا سيدي يا رسول الله، ننهل من فيض خُلُقهِ
الكريم وسنته المطهرة ﷺ، كم له من منةٍ في أعناقنا نذكرها فنصلي عليه،
اللهم صَلِّ عليك يا أسعد مخلوقات الله. صلوا على النبي المصطفى.

وادعوا ربكم.





الرسول ﷺ مؤيد بالله

من أفكار الخطبة:

- ١- رسول الله ﷺ سيد الثَّقَلَيْنِ وسيد الكونين (الْمَشَاهِدِ وَالْغَائِبِ)؛ فهو خير خلق الله كلهم.
- ٢- رفع الله تعالى له ذِكْرَهُ؛ فما ذُكِرَ الله سبحانه إلا وَذُكِرَ معه ﷺ.
- ٣- جعل الله له قبره ظاهراً ثابتاً ولم يظهر قبر أحد من الأنبياء قط، فكلها ظنّية.
- ٤- حفظ الله له كتابه، ولم يحفظ كتاب أمة نبي من قبله.
- ٥- حَفِظَ الله له آله وكآثرهم، كما قال سبحانه:
﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١].
- ٦- حفظ الله له أُمّتَهُ مِنَ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ.
- ٧- المُنْجِي مِمَّا نَحْنُ فِيهِ هُوَ أَنْ نَحْبِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَنَعْلَمَ أَبْنَاءَنَا حُبَّهُ وَحُبَّ آلِهِ.



الرَّسُولُ ﷺ مُؤَيَّدٌ بِاللَّهِ

تركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، أمر ونهى وحد لنا حدودًا وقربنا إلى الله ﷻ، ونقلنا من الظلمات إلى النور، ومن الضيق إلى السعة، ومن متاهات الفكر إلى حدود الشريعة؛ فاللهم أحيينا على سنته وشريعته، وأمتنا يا ربنا على ملته، وابعثنا تحت لوائه يوم القيامة، وشفعه فينا عند ربنا يوم يقوم الحساب.

رسول الله وما أدراك ما رسول الله؟! رسول الله!!

رسول الله ﷺ سيد الثقلين، وسيد الكونين (المشاهد والغائب)، فهو خير خلق الله كلهم.

رسول الله ﷺ هو: باب البشر إلى ربهم، من لزم الباب فُتِحَ عليه، ومن أغلقه على نفسه فقد أغلق على نفسه خيرًا كثيرًا، آمن به من آمن وكفر به من كفر، ونحن أمام من كفر برسول الله ﷺ نرثي له، وقد دعانا ﷺ إلى أن نبلغ عنه ولو آية، دعانا إلى أن نعتل هم هذا الذي كفر، وأن نكون معه رفقاء رحماء، إلى أن يؤمن الله ﷻ عليه بالهداية، وقال: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»^(١) فهو أحب مال عند العرب يومئذ، وقال: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِلْوَلَدِ»^(٢).

وقال ربه فيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

(١) متفق عليه، البخاري: ١٠٧٧/٣، برقم (٢٧٨٣) واللفظ له، ومسلم: ١٨٧٢/٤، برقم (٢٤٠٦).

(٢) سبق تخريجه، ص: ٦٦.



ولد رسول الله ﷺ في العشرين من شهر إبريل سنة (٥٧١) من ميلاد السيد المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وسمّاه جده؛ لأنه ولد يتيماً باسم فريد (محمد)، ولم يكن قد تسمّى به أحد من قبله^(١)، وقيل: إن العرب قد سمّت أربعاً بعده بقليل.

والنبي ﷺ -وهو فرد في نفسه- وعده الله بأن يرفع ذكره فرفع ذكره، ومن رَفَع ذكره ﷺ أن جعل اسمه مع لفظ الجلالة عنواناً على الإيمان، ولا يكفي أن يقول أحد من البشر: (أشهد أن لا إله إلا الله) ولا يُقبل عند ربه؛ حتى يُثني: (وأشهد أن محمداً رسول الله) فقرن اسمه ﷺ باسمه ﷻ؛ تكريماً وإعزازاً له.

ومما رفع الله ذكره: أن جعل اسمه يتردد على المنابر إلى يوم الدين، وعلى المنائر في الأذان خمس مرات في اليوم واللييلة في كل أركان الأرض، وأصبح هذا الاسم طبقاً للإحصاء العددي أكثر الناس تسميةً به في الأرض؛ فتسمّى به حتى عام ١٩٩٠ سبعون مليون مولود من البشر^(٢)، فإذا ضُم إلى ذلك (أحمد) و(محمود) و(حامد) و(مصطفى) وإذا ضُم إلى ذلك ما ارتآه المسلمون اسماً للنبي ﷺ فسموا أبناءهم به تبرّكاً به ك (طه) و(ياسين) فإن اسم النبي ﷺ

(١) وإن كان في «المفصل» أن الاسم قد أطلق على بعض أهل الجاهلية، كمحمد بن مسلمة الذي أسلم على يد مصعب بن عمير رضي الله عنه، ومحمد بن حمران بن أبي حمران، وقد ذكر بعضهم أن الذين سمّوا محمداً في الجاهلية سبعة. انظر: «المفصل في تاريخ العرب»: ص (٥٨٥٨)، وانظر: «أسد الغابة» لابن الأثير.

(٢) أفادت صحيفة «دايلي تلغراف» الصادرة الخميس ٢١ من ديسمبر ٢٠٠٦، أن اسم «محمد» حلّ في المرتبة الثانية والعشرين على لائحة أكثر الأسماء الدارجة للأطفال الذكور في بريطانيا، متقدماً على اسم «جورج» الذي كان يتصدر لائحة السنة الماضية، كما دخل لائحة الأسماء الخمسين الأكثر رواجاً للمرة الأولى إلى جانب أسماء «نوح» و«أوسكار» و«لوكاس» و«ريس». وأضافت أن أرقام مكتب الإحصاء الوطني كشفت أن ٢٥٥ مولوداً ذكراً حملوا اسم «محمد» هذا العام بالمقارنة مع ٣٣٨٦ مولوداً حملوا اسم «جورج».





يفوق كل ما يتصوره البشر إلى يوم القيامة، وليس لاسم من أسماء أحد من البشر هذه الخاصية سواء، فصدق الله، وصدقت يا حبيبي يا سيدي يا رسول الله صلى الله عليك وعلى آلك وصحبك وسلم.

ومما رفع الله به ذكره: أن جعل الناس يتبعونه، فكانوا أكثر أهل الديانات عددًا حتى بلغ المسلمون ربع سكان الأرض، ومما رفع الله به ذكره أن أبرز قبره ولم يبرز قبر نبي قط، سوى النبي المصطفى والحبيب المجتبي ﷺ، وكل قبور الأنبياء في الأرض محل شك ونزاع وتكرار، وكل مؤمن وكل كافر يعرف أن هذا الموضع الطيب الطاهر في المدينة المنورة تحت القبة الخضراء إنما هو للنبي المصطفى ﷺ، لا يختلف فيها مؤمن ولا كافر ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] فأبرز قبره، وحفظ له ذكره؛ حتى نفذ ما أمرنا الله به، ونجد لأنفسنا مخرجًا من ذنوبنا، وهو يقول ﷺ: «حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنِ حَمْدُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَمَا كَانَ مِنْ سَيِّئٍ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهُ لَكُمْ»^(١).

رسول الله ﷺ بلغ فصدق، ولم يصدق في نفسه هكذا كشأن البشر؛ بل الذي صدقه هو رب السماوات والأرض، من فوق سبعة أرقع، من فوق العرش العظيم ﷻ.

يقول رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ، وَعَثَرَتِي أَهْلَ بَيْتِي» أخرجه الترمذي^(٢).

(١) سبق تخريجه، ص: ١٦.

(٢) أخرجه الترمذي: ٦٦٢/٥، برقم (٧٨٦)، وقال: حسن غريب.





وروى مالك في النهي عن القول في القدر^(١)، والبيهقي في باب ما يُقضي به القاضي ويُفتي به^(٢): «إني قد خلّفت فيكم ما لن تضلّوا بعدهما ما أخذتم بهما، أو عملتم بهما: كتاب الله وسنتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، فترك لنا هذه الثلاثة: كتاب الله، وعتره أهل البيت الكرام، وسنة المصطفى ﷺ، وإذ بالله ﷻ يحفظ الثلاثة كما وعد، ولم يكن بيد محمد ﷺ سيد البشر أن يحفظ شيئاً من هذا؛ فإنه كبشر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا حول ولا قوة في يده ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] فالمؤيد هو الله، والمصدق هو الله، والمؤكد هو الله ﷻ.

ترك أمته وقد تلاعبت سائر الأمم بتراث أنبيائها ورجالها، ولم يكن بيده أن يحفظ الكتاب؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فحفظ، وإذ بنا من الشرق والغرب بيدنا كتاب واحد، لا نعرف سواه ولا يضرب بعضنا رقاب بعض من أجل أنه يُنكر جزءاً منه، أو يثبت جزءاً آخر. والحمد لله رب العالمين.

والنبي ﷺ رأى بعينه كيف مات أبناؤه أمامه؛ مات (عبد الله) ومات (القاسم) ومات (الطيب) و(الطاهر) ومات بعد ذلك (إبراهيم)، ماتت (السيدة زينب) بنت رسول الله ﷺ ودفنها بيده، ولم تُنجب إلا (أمامة) وماتت (أمامة) بعد ذلك ولم تُنجب أحداً، و(رقية) و(أم كلثوم) ماتتا أمامه ﷺ، ولم تبق إلا (فاطمة) عليها السلام، أتت (فاطمة) ب(الحسن) و(الحسين) و(المحسن)، فمات (المحسن).

(١) رواه مالك في «موطئه» بلاغاً: ٢ / ٨٩٩، برقم (١٥٩٤)، ولفظه: «تَرَكَتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوْا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ».

(٢) انظر: سنن البيهقي الكبرى: ١٠ / ١١٤ آداب القاضي.





يرى النبي ﷺ أهله يموتون أمامه؛ فما الذي دعاه بتلك المخاطرة إن لم يكن مؤيداً من رب السماوات والأرض؟! ويقول: تركتُ فيكم عِثْرَةَ أهل بيتي، من أدراك يا سيد الخلق أنه سوف يكون لك عترة ونسل من (الحسن) و(الحسين)؟! نسل يملأ الأرض جميعاً في مشرقها ومغربها، من الذي أخبرك بذلك؟ إن الذي أخبره هو العزيز الحكيم الذي يقول للشيء كن فيكون، الذي يأمر في كونه ﷻ؛ فلا يتأخر الكون عن أمره وكيف ذاك وهو خالقنا وبيده نواصينا.

ما كان النبي المصطفى ﷺ والحالة هكذا في وفاة أهله أن يقول ذلك من عند نفسه، فلما قالها أيده الله الذي أخبره بها، وحفظ كتابه، وحفظ أهل بيته، (الحسن) و(الحسين) تعرضا للقتل فسُمَّ هذا، وقتل هذا، وأبناؤهما أبيدوا جميعاً عن بكرة أبيهم؛ فنجى الله ﷻ (علي زين العابدين) و(الحسن المثنى) و(زيد الأبلج) ومن الثلاثة الصغار أبناء (الحسن) و(الحسين) جاء النسل الشريف. ما هذا الذي نراه؟!

والنبي ﷺ يترك أحاديثه، ويترك خلفه أكثر من مائة ألف صحابي، فلا يروي حديثه سوى الألف (واحد بالمائة)، وإذ بهذا الحديث يُوفق الله الأمة كلها لإنشاء منهجٍ نقليٍّ لعلمٍ نتوثق فيه من كل كلمةٍ خرجت من فم النبي المصطفى ﷺ، وهو ما لم يحدث إلى يومنا هذا لأحدٍ من البشر، لا للأباطرة ولا للملوك، ولا للأغنياء والأثرياء، ولا للأنبياء والأولياء، لم يحدث هذا إلا كرامةً للنبي ﷺ؛ فصلّى الله عليك وسلم يا سيدي يا رسول الله.

حفظ لنا كل هذا وغيره كثير، وكان ﷺ قد كتب الله له أن يكون يتيماً، ونحن اليوم نُطلق دعوةً في الناس في يوم اليتيم، تحت عموم قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] نحتفل باليوم الذي ولد فيه النبي





المصطفى ﷺ، ونحتفل بيوم نحوي في الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وأشار إلى السبابة والوسطى من يده الشريفة^(١)، وقال ﷺ: «مَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ رَأْسِهِ حَسَنَاتٌ»^(٢) ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩] ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

والله يتكلم عن اليتيم وعن اليتامى -أغنياء أو فقراء- ثم بعد ذلك يأمرنا أن نجعلها قمة الإنسانية، فإذا أصلح الإنسان بينه وما بين اليتيم؛ استطاع أن يصلح فيما بينه وبين نفسه، وبينه وبين أهله وجيرانه، وجماعة العمل والمسجد ومن حوله من الناس، ليست المسألة مسألة مال ومادة، إنما أصلها هو الحنان والرحمة بكل أشكالها، و«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»^(٣).

رسول الله ﷺ كان يتيماً، وعلى اليتيم أن يفخر بتلك الصفة التي أقامه الله فيها كرسول الله وجعله باباً للثواب، ولا أرى رأي أولئك الذين يريدون أن يغيروا اسمه وفقاً عليه، وكأن كلمة اليتيم مَسَبَّة! كلمة اليتيم مفخرة فهي صفة من صفات سيد الخلق، كلمة اليتيم مفخرة؛ لأنه سبب للثواب، ولأنه مدخل للجنة، كلمة اليتيم مفخرة؛ لأن الله تكلم عنها في أكثر من عشرين موضعاً في القرآن الكريم، كلمة اليتيم مفخرة؛ لأنها هي عنوان الإنسانية.

(١) سبق تخريجه، ص: ٢٩.

(٢) سبق تخريجه، ص: ٢٩.

(٣) سبق تخريجه، ص: ١٥٢.





أيها المسلمون، علموا أولادكم حب رسول الله ﷺ، كان يحتفل بيوم ميلاده كل أسبوع فعندما سُئل عن صيام يوم الإثنين قال: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ -أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ- فِيهِ»^(١)، وكذلك صارت سنة ماضية في أمتة صيام هذا اليوم؛ فهو احتفال أسبوعي بالحبيب المصطفى ﷺ؛ فإذا سألك -أيها المسلم- سائل: لماذا تصوم يوم الإثنين؟ فقل: هذا يوم ولد فيه حبيب رب العالمين، وبعث فيه رحمة الله للعالمين، ولقي الله فيه خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو أولى بنا منا ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] صَلَّى الله عليه وسلم.

أحبوا رسول الله ﷺ فليس لكم أحد سواه، عيشوا في سنته، أقيموا شريعته؛ هو مصدر حلالنا وحرامنا، وأخذنا وردنا، وقبولنا ورفضنا؛ فإن نحن فعلنا ذلك نجونا في الدنيا والآخرة وحصلنا سعادة الدارين، وإن أبى من أبى وانحرف من انحرف فندعو الله له الهداية، ونقول مثل ما قال سيد الخلق حينما قيل له: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعْنًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»^(٢).

وتذكروا حين جاءه ملك الجبال وقال أطبق عليهم الأخشبين فقال: «أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُعْبُدُ اللَّهَ»^(٣) فلو استأنينا فيمن حولنا ممن لا يحبون الله ولا رسوله، ولا يلتفتون إلى شاهد ولا غائب؛ فإننا نرجو الله ﷻ أن يختلف الحال مع أبنائهم، وأن يخرجوا في وسط يحبون رسول الله ﷺ، ويعلمون قدره وهداه، ويتبعون أمره وما نهاه، ثم بعد ذلك ينفع الإسلام والمسلمين.

(١) أخرجه مسلم: ٨١٩/٢، برقم (١١٦٢).

(٢) أخرجه مسلم: ٢٠٠٦/٤، برقم (٢٥٩٩).

(٣) سبق تخريجه، ص: ١٨٥.





﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨].

اللهم صلّ وسلم عليك يا سيدي يا رسول الله ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].



إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ





إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ

وبعد: فهذا عام هجري جديد، هجرة المصطفى الحبيب المجتبي، سيد الأكوان، رحمة الله للعالمين، بشرى الأنبياء لمن بعدهم إلى يوم الدين، من جعله الله تاجاً فوق رؤوس البشرية، سيدنا ونبينا وحيبنا وقرّة أعيننا ﷺ، وهو:

كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالْبَدْرِ فِي شَرَفٍ * وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالْدَّهْرِ فِي هِمَمٍ
دَعَا مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَىٰ فِي نَبِيِّهِمْ * وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكُمْ
فَانْسُبْ إِلَىٰ ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ * وَانْسُبْ إِلَىٰ قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمٍ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ * حَدٌّ فَيُغْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ
لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا * أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَىٰ دَارِسَ الرِّمَمِ
لَمْ يَمْتَحِنَا بِمَا تَعَيَّا الْعُقُولُ بِهِ * حَزْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهَمِ
أَعْيَا الْوَرَىٰ فَهُمْ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَىٰ * لِلْقُرْبِ وَالْبُعْدِ مِنْهُ غَيْرُ مُنْفَجِمِ
أَكْرَمَ بِخُلُقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٍ * بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ

صلى الله عليك وسلم وآلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَبَّتِ النِّسَائِمُ، وَنَاحَتْ عَلَى الْأَيْكَ الْحَمَائِمُ، رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا عِنْدَ رَبِّهِ، وَلَهُ الْفِرْدَوْسُ الْأَعْلَى، سَقْفُهُ الْعَرْشُ، سَأَلَ رَبَّهُ فَأَعْطَاهُ، وَنَسَأَلَ اللَّهَ لَهُ زِيَادَةً فِي قَدْرِهِ وَشَرْفِهِ الشَّرِيف. رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَصَرَهُ رَبُّهُ، فَأَكْثَرَ مِنْ تَبِعِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ حَتَّى صَارَ الْمُسْلِمُونَ أَكْثَرَ أَهْلِ الدِّيَانَاتِ تَبَعًا، تَرَى الرَّجُلَ لَا يَصِلِي وَهُوَ يَحِبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى نَصْرَتِهِ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ! تَرَى الرَّجُلَ يَفْعَلُ الْمَعَاصِيَ وَالْمُنْكَرَاتِ، لَكِنَّهُ إِذَا ذَكَرَ أَمَامَهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَقَّ قَلْبُهُ،



وإذا استُحلف به أو ذُكِّر به رأيت عينه ترقق بالدموع!!

ما هذا الإنسان الغريب العجيب؟! إنه حبيب رب العالمين.

يذكرنا ذلك العام الهجري بأذية المشركين له في حياته، وبأذية السافلين الفاجرين الكفرة له، وهو في الأفق الأعلى وفي الملاء الأعلى عند ربه، ولكن الله الذي قَدَّر عليهم ذلك الكفر، وهو الذي في كونه لا يكون إلا ما أراد، وحكمة ذلك أنه يرقِّي نبيه ﷺ وهو عنده كلما اعتدى عليه المعتدون، وتسافل عليه السفلة المجرمون، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، فالحمد لله رب العالمين أن جعل لنا من المَحَنِ منحةً، وأن جعل لنا من هذا البلاء فرجاً.

ترك لنا رسول الله ﷺ كتاب ربنا وعترته؛ دالاً على نصرته الله له، وحفظ كتابه، كما وعد ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فصدق، وحفظ لنا عترته وكان نسله الشريف يموتون تباعاً؛ لئعلمنا أنه كان قادراً على هلكتهم جميعاً فلا يبقى لمحمد أثر، لكنه أبقاهم من اثنين فقط من الحسن والحسين، من علي زين العابدين، ومن الحسن المثنى، ومن زيد الأبلج - فقط، حتى شاعوا وذاعوا في الأقطار و«يَنْقَطِعُ كُلُّ نَسَبٍ، إِلَّا نَسَبِي وَسَبِي وَصَهْرِي»^(١) صلى الله عليه وسلم، ومن فاته النسبة إلى أهل البيت الكرام، لم يفته الانتساب إلى سيد الخلق بالإسلام؛ فالحمد لله إنه كان منا كالوالد للولد.

علمنا ربنا كيف ندير الأزمات، وكيف نجعل دائرة العدوان على أهله، يقول ربنا ﷺ وهو يريد منك أن تقف بهدوء في قلبك، ووضوح في عقلك،

(١) أخرجه أحمد: ٣٢٣/٤، برقم (١٨٩٢٧)، والطبراني: ٢٥/٢٠، برقم (٣٠)، قال الهيثمي (٢٠٣/٩): فيه أم بكر بنت المسور ولم يجرحها أحد ولم يوثقها، وبقيّة رجاله وثقوا. وأخرجه الحاكم: ١٧٢/٣، برقم (٤٧٤٧) وقال: صحيح الإسناد.





بحب لنبيك وطاعة لربك: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] يقول لنبيه لا تلتفت إلى هؤلاء، لا في شكلهم ولا في مضمونهم، لا في حالهم ولا في مآلهم؛ التفت إلى عبادة ربك، وتيقن منه ومن تكليفه وتشريفه لك، ومن يوم نعود فيه إلى الله بعد أن تجرعنا جرعة الغيظ في قلوبنا، لا عن ضعف وإنما عن امتثال، لا عن خوار وإنما عن حب ووفاء، لا عن انهيار وتفكك وإنما عن حزن يحزنه القلب!!

ويدلنا ربنا كيف نخرج منه ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ [الحجر: ٨٥-٨٦] هو الذي استدرجهم إلى هذا الأذى، وهو الذي خلق هؤلاء الفجرة، وهو الذي يعلم بحالهم ومآلهم، وهو الذي يعلم بحالكم ومآلكم في الدنيا والآخرة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] فاشتغل بها، اشتغل بها؛ تسلي قلبك عن الحزن، وتوثيق صفحاً جميلاً، وصبراً جميلاً ﴿فَصَبِّرْ بِجَمِيلٍ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ [الحجر: ٨٧-٨٨] أي أصنافاً منهم أغنياء متمكنين في الأرض معهم أدوات الدعاية ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ [الحجر: ٨٨-٩٤].

ثم تأتي التسلية له، ولمن بعده ممن تبعه إلى يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا لَآلِ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] أي: لا حول ولا قوة إلا بالله، لم يكن معنا فساد





القبلة الذرية! وليس عندنا جيوش جراحة! ولا سلاح يصل بنا إلى حرب النجوم وحرب الفضاء!! وأتت لنا القوات تحتل بلادنا في فلسطين والعراق والشيشان وفي أفغانستان وفي كل مكان، وتكالبت علينا الأمم ونحن لازلنا في ازدياد، يُسلم منهم كل يوم لا عن إكراه، ولا عن دعوة، ولا حتى عن حال مَرَضِيٍّ لنا في أنفسنا نضرب به المثل الصالح للناس كما أمرنا الله.

في سنة ٢٠٠٣ أسلم ٢١ شخصاً من الدنمارك في الأزهر الشريف، وفي سنة ٢٠٠٤ أسلم نحو ٢٠ شخصاً من الدانمارك، وفي سنة ٢٠٠٥ وإلى شهر ٩ أسلم ١١ واحداً من الدانمارك، ٤١ شخصاً أسلموا لا عن شيء؛ إلا لأن الله قد خلق الهداية في قلوبهم، وهذا لا يعني أننا لا نحاسب عند الله بعدم تبليغ الإسلام، وبضرب المثل الصالح في العالمين عندما نتمثل برسول الله ﷺ، ونعيشه في أنفسنا وفي حياتنا، في معاملتنا وفي أخلاقنا، في دعوتنا وفي توضيحنا وتبليغنا لمن بعدنا «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١).

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] تذكرني بما أجراه الله على لسان عبد المطلب، وهو يفاوض أبرهة الحبشي صاحب الفيل أن يرد عليه ماله، فقال: سألتني مالك ولم تسألني الرجوع عن قصد البيت، مع أنه شرفكم. فقال: «إِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَيَمْنَعُهُ»^(٢) ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] رحلوا الصدام لغير مواضع الاستفزاز الدنيء منهم، والتفتوا إلى تبليغ ما قد أمركم أن تبلغوه عنه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧] فالبشر يضيق صدرهم من السفالة والخساسة، وسوء الأدب وانعدام الحياء وفساد الديانة، والعند الذي يورث الكفر والدم والعنف، فما وصفة ربنا لهذا الذي نجده في

(١) سبق تخريجه، ص: ٢٥.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٥٥٣/١، وسيرة ابن هشام: ٥٠/١.





قلوبنا من ضيق وحزن لسيد الخلق أجمعين ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٩٨-٩٩].

يقول الإمام الرازي في تفسيره: أَمْرُهُ بِأَرْبَعِ تَنْوُرِ الْقُلُوبِ؛ فيذهب الحزن والضيق: أمره بالتسبيح، وأمره بالحمد، وأمره بالسجود، وأمره بالعبادة.

لم يأمرنا ربنا بغير ذلك، وقلوبنا مشتتة غيظاً فمن نطيع؟! نطيع ربنا أو نطيع قلبنا؟! فاللهم اجعلنا ممن كان هواه تبعاً لما جئت به، في كل أحوالنا، واجعلنا ممن يطيعك فيتجرع جرعة الغيظ لوجهك، وانقلنا من دائرة سخطك إلى دائرة رضاك، وأقمنا في تصحيح أنفسنا، وارفع أيدي الأمم عنا، وبلغ بنا دينك حيثما تريد. اللهم لا معقب لأمرك وأنت فعال لما تريد، لك العتبى حتى ترضى، انصرنا وانتصر لنبيك، صلى الله عليك وسلم بأبي أنت وأمي يا سيدي يا رسول الله، صلى الله عليك وسلم يا سيد الخلق، يا من أرسلك الله رحمة للعالمين، ستظل كذلك في قلوبنا وقلوب الناس ممن عقل. أما السفلة فإن الله قد كفاناهم، صلى الله عليك وسلم بأبي أنت وأمي يا سيدي يا رسول الله، صلى الله عليك وسلم يا سيد الخلق يا من أرسلك الله رحمة للعالمين.

فإن الله ﷻ في آخر سورة الحجر وبعد أن وجهه ﷻ في علو مقامه كيف يتعامل مع السفلة المجرمين، وقال له: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٩٤] إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿ ٩٥ ﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿ ٩٦ ﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿ ٩٧ ﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿ ٩٨ ﴾ وَعَبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْنِيكَ الْيَقِينُ ﴿ [الحجر: ٩٤-٩٩]. فامتثل وتجاوز عن السفلة المجرمين، وقام بما أمره الله ﷻ من تبليغ دينه للعالمين، ولم يشغل بكيد الكائدين ولا حقد الحاقدين، وتجرع جرعة الغيظ في صدره الشريف؛ فجراه الله عنا خير ما جازى به نبياً عن أمته، وهدانا إلى سنته، وأقامنا ندافع عنه في حياتنا بحياتنا





وأرواحنا، وأبنائنا وأموالنا وأنفسنا، اللهم اهدنا إلى سواء السبيل، وإلى الصراط المستقيم، وإلى حبيبك يا رحمن يا رحيم.

بعد هذا بدأت سورة النحل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿أَفَ أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٤) وَالْأَنعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحْنَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايَزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَنَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿[النحل: ١-٩]. لكنه شاء غير ذلك ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴿[هود: ١١٨-١١٩] فخلق للنار أقوامًا ويعمل أهل النار يعملون، وخلق للجنة آخرين ويعمل أهل الجنة يعملون، فالحمد لله أن جعلنا مسلمين من أتباع حبيبه المصطفى المجتبي الأمين، لكنه يسلي قلوبنا ويظهر الحقائق لنا.

والدارسون لسورة النحل يسمونها بسورة الاقتصاد؛ لأن فيها كلامًا عن الموارد الاقتصادية، والهياكل الأساسية، والتراكم باعتباره من الثروة التي خلقها الله ﷻ، وسوف نفصل في ذلك تفصيلاً بعد ذلك -إن شاء الله تعالى- ولكن المقصود الآن أن نعلم كيف هذا الربط بين ﴿أَفَ أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] وهو حقيقة التوكل والرضا والتسليم وتعلق القلب برب العالمين، وبين أن هذه هي السورة التي أسست الاقتصاد للعالمين.



كل ما يفعلونه معنا مبني على الاقتصاد، كل كفرهم يريدون به أن ينالوا الشهوات، وأن يسدوا حاجات الجسد، وأن يسدوا مطالب هذه الحياة الدنيا! يلمحون لنا ويستعمروننا، ويفعلون أشياء كثيرة في السياسة والاجتماع والثقافة والفكر، كلها يصب في الاقتصاد، اقتصادهم الذي يريد أن ينهب ثرواتنا وأموالنا، وأن يعطينا بعد أن يكسب ويربح بضائعه وأحواله.

أمسك النبي ﷺ بسيف في يده وقال: «وَدِدْتُ أَنْ يُصْنَعَ هَذَا هُنَا» وكان السيف يصنع في الهند ويسمى: بالمُهَنْد، وفي اليمن ويسمى: باليماني؛ فأشار رسول الله ﷺ للمسلمين كيف يخرجون إلى القوة، وإلى تنفيذ قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] أراد أن يدلنا على مكنن القوة، ومكنن القوة هو الإنتاج، هو أن تكون أيها المسلم عاملاً منتجاً؛ «وَدِدْتُ أَنْ يُصْنَعَ هَذَا هُنَا». وعندما ندخل في الإنتاج الوفير نستطيع أن نجهز للدفاع عن أنفسنا بالاكتماء الذاتي أولاً، وبإرهاب العدو إذا ما صنعنا له السلاح قوة للردع ثانياً، ويأمرنا ديننا ألا نقاتل إلا من قاتلنا، وألا نخرج من ديارٍ إلا من أخرجنا من ديارنا ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠-١٩١].

هكذا ودائماً يبين لنا كيف نصد العدوان، وكيف نرفع الطغيان؛ ما بدأهم رسول الله ﷺ إلا بالموعظة الحسنة، وبالحكمة الطيبة، وعلمنا الحكمة ونهانا أن نقاتل في مكة، ولما كان في المدينة جاءوا إليه في بدر، وبدر من المدينة أو بقريب منها، ثم جاءوه في أحد، وأحد من المدينة أو هي قريب منها، ثم جاءوه في الخندق الذي حفره يحمي المدينة. ما اعتدى عليهم رسول الله ﷺ، فلم يتركوه؛ بل أرادوا أن يقاتلوه وأن يقتلوه، وحاولوا معه ذلك بكل وسيلة،



ولكن الله عصمه من الناس ﴿وَاللَّهُ يَعَصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] ولكن الله رفع ذكره وأعلى شأنه، وكان من الممكن أن تنتهي الدعوة المحمدية إلى دين قليل، يؤمن به بعضهم ثم يموتون، ولكن الله هو الذي بلغه في أقطار الأرض، وكثر من أتباعه وهو يقول: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا». فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلِيلٍ نَحْنُ يَوْمِيذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمِيذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُذُورِ عَذْوِكُمُ الْمُهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١).

من الذي أدرى محمد بن عبد الله - إذا لم يكن مرسلًا من عند ربه - أن قومه سوف يملأون الأرض وأنهم يومئذ كثير؟! من الذي أخبره بأن الله يحفظ كتابه - وقد فعل - ويكثر من أهل بيته وينشرهم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] أي: أهل الكوثر فكانوا كثيرين يملأون الأرض نورًا وهداية وبركة، نلتهم منهم البركة وننظر إليهم فكأننا ننظر إلى نسل رسول الله ﷺ يتمثل هو فيهم «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ، وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي»^(٢) من الذي أخبر هذا الرجل!!

﴿قُلِ اللَّهُ تَرَدَّدَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

بأبي أنت وأمي يا سيدي يا رسول الله، ما أخبر به عن ربه فصدق وصدقته ربه، إنه في المقام الأعلى.

(١) أخرجه أبو داود: ٥١٤/٢، برقم (٤٢٩٧)، أحمد: ٣٥٩/٢، برقم (٨٦٩٨). قال الهيثمي

(٢٨٧/٧): إسناده أحمد جيد، وأحمد بنحوه: ٢٢٠١٩. عن ثوبان رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه، ص: ١٩٣.





﴿أَفَئْ أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] أمرٌ من مئات السنين، ولكنه كأنه ينزل علينا اليوم، وكأنه فينا يتكلم، وهذا هو إعجاز كلام الله الذي فضله على سائر الكلام كفضل الخالق على المخلوق.

أيها الناس: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ١ ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُخَذِّلُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ٢ ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ ٣ ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٤ ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَثْ أَحْلَمَ بَلْ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ ٥ ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ٦ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٧ ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ ٨ ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: ١-٩] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٠].

ربنا ينصر نبيه ويكفينا فيه المستهزئين، ولكن التفت إلى نفسك كم تعمل في اليوم؟ عليك أن تعمر هذا الكون حباً في رسول الله ﷺ، وأن تقوم نُصرةً له، ولو فعلت هذا لوجدت الله يوفقك، ولوجدت الله يؤيدك، ولوجدت البركة تحصل، ولوجدت القوة تنزل عليك؛ فتكون مؤمناً قوياً كما أحب الله ورسوله.

أيها الناس، لنجعل من هذه المحنة منحة، ولنجعلها بداية لطريق نؤسس فيه الخطاب، لا تكفي المقاطعة؛ فإن الإنسان يشمئز أن يأخذ شيئاً بعد ذلك من هؤلاء، ونفسه لا تطيق أن يأكل شيئاً من أيديهم، ولا أن يأكل شيئاً مما يأتي من عندهم، وأنوار رسول الله ﷺ في القلوب من غير قرار حكومي، ولا تحرك دولي؛ إنما حبه في قلوبنا يمنعنا من ذلك، هل سيرغمونا على





أن نأكل أو نشرب أو نلبس ما مسته أيديهم وهم يتخاذلون؟!

سُئل أحدهم: ماذا تعرف عن محمد بن عبد الله؟ قال: لا أعرف شيئاً!
أعرف أنه رجل مات منذ مئات السنين!!

هذا هو حالهم؛ فأين نحن من تبليغ الدعوة ورسول الله ﷺ يقول: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١) أين نحن من قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] أين نحن مما فعله رسول الله ﷺ وقد نزل إليه ملك الجبال: أأطبق عليهم الأخشبين فقال: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٢) كن على قلب رسول الله ﷺ ينصرك ربك، وهذا معناه أن تعمل.

فمع عبادة الله عَمِّر الكون، ومع عمارة الكون زَكِّ نفسك ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾^(٣) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿[الشمس: ٩-١٠].

عباد الله، ادعوا ربكم ﷻ، ادعوه مخلصين له الدين، وصلوا على نبيكم ﷺ رحمة الله للعالمين. والحمد لله رب العالمين.



(١) سبق تخريجه، ص: ٢٥.

(٢) سبق تخريجه، ص: ٤٦.



فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٧	السلسلة الثالثة: النبي ﷺ:
٩	كلمة الناشر.....
١١	• الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ
٢٣	• تَرْكِهُ اللّٰهُ لِرَسُولِهِ ﷺ.....
٣٣	• بِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، فَلْنَفْرَحْ
٤١	• طَيْبٌ مُّبْتَدَأٌ مِنْهُ وَمُخْتَمٌ
٥١	• بَيِّنَةُ الرَّسُولِ ﷺ.....
٥٩	• الرَّسُولُ الْمُرَبِّي ﷺ.....
٦٧	• رَجَالٌ وَنِسَاءٌ حَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ.....
٧٧	• خصائص النبي ﷺ وبعثته للعالمين.....
٨٥	• الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ
٩١	• رَسُولُ الْحِكْمَةِ ﷺ.....
١٠١	• رَسُولُ الثَّبَاتِ ﷺ.....
١١١	• الرَّسُولُ الْبِشَارَةُ ﷺ.....
١١٩	• الْأُسُوءَةُ الْحَسَنَةُ
١٢٧	• عِتْرَةُ آلِ الْبَيْتِ
١٣٥	• الْمَنْهَجُ الْمُخْتَارُ
١٤٧	• فَاغْفُوا وَاصْفَحُوا





الصفحة

الموضوع

١٥٧	• رحمة الله في أوليائه
١٦٣	• سيدنا محمد ﷺ ظاهرة فريدة لا تتكرر
١٧١	• إِنَّ لَمْ نَفْرَحْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَبِمَنْ!!؟
١٧٩	• أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ!
١٨٩	• الرسول ﷺ مؤيد بالله
١٩٩	• إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ
٢١١	• فهرس المحتويات



قريباً بمشيئة الله

النبي ﷺ

في

نفسه الفاضلة

لفضيلة الامام العجالة

نور الدين علي جمعة

مفتي الديار المصرية

قائم له وحجج احاديثه

اسمته السيد محمود الازهرى

يحتوي على :

المقدمة

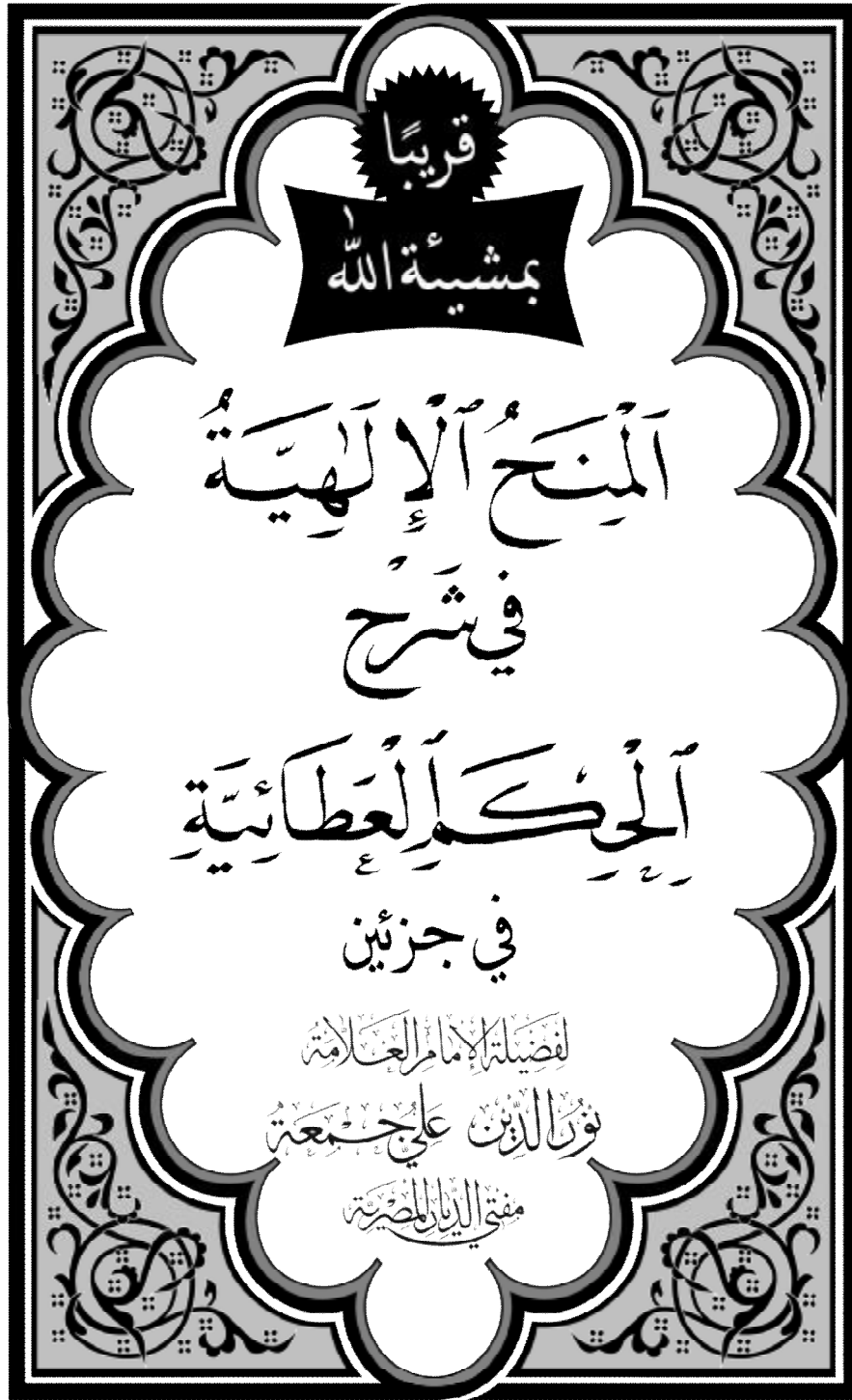
سورة الفاتحة

الربع الأول من سورة البقرة

قريباً بمشيئة الله



لفضيلة الإمام العلامة
نور الدين علي جمعة
مفتي الديار المصرية





www.alimamalallama.com